المشروع الإيراني وتأثيره على العلاقات الإيرانية العربية

د.محمد أحمد توفيق[١] أ.د. جمال سلامة[٢] د. أحمد جلال[٣]

مُستَخلص:

تتناول هذه الدراسة موضوع المشروع الإيراني وتأثيره على المنطقة العربية؛ حيث تلقي الدراسة الضوء على علاقات الدول العربية مع إيران وتأثير ذلك على الأوضاع الإقليمية والدولية، في ظل غياب الاتفاق بين صانعي القرار في الدول العربية وعدم القدرة على تبني استراتيجية عربية قادرة على حماية أمنهم الإقليمي، وكذلك الأدوات الخاصة بتنفيذ هذه الاستراتيجية، وعلى العكس من ذلك شهدت السياسة العربية صورًا مختلفة من الخلافات على الرغم من وجود عوامل كثيرة يمكن أن تساهم في دعم التقارب بينهم، كما أن التهديدات التي تواجههم يمكن أن تكون دافعا مهما للتعاون بينهم، وضمن نفس السياق اتضح أن سياسة الدول العربية تهتم بالأمن القومي لها دونما الاعتبار لمصالح الدول العربية الأخرى في ظل غياب الاستراتيجية العربية المشتركة.

كما تلقي الدراسة الضوء على التهديدات والتحديات التي واجهتها المنطقة العربية، التي تؤثر بصورة كبيرة في مجريات الأوضاع الإقليمية والدولية، كانعكاسات صعود بعض الدول منها تركيا وإيران كقوى إقليمية مؤثرة في المنطقة بعد عام ٢٠١١م، بسبب توجيه الدول العربية سياستها لمواجهة التهديدات الداخلية، كماأن غياب الاستراتيجية العربية في مواجهة كل من تركيا وإيران كان له التأثير الكبير على الأمن الإقليمي العربي.

وفي ضوء عدم الاستقرار التي يتميز بهاالنظام الإقليمي العربي بسبب العوامل الداخلية التي تواجهها هذه الدول العربية، فإن التحركات الإيرانية ونفوذها في المنطقة كان لها التأثير

١- مساعد أمين عام مجلس الدفاع الوطنى.

٢- أستاذ العلوم السياسية عميد كلية السياسة والاقتصاد جامعة السويس.

٣- مدرس بقسم العلوم السياسة كلية السياسة والاقتصاد جامعة السويس.

الكبير على الأمن القومي العربي لامتلاكها القدرة على تحقيق أو عدم تحقيق الاستقرار في المنطقة العربية.

تأسيساً على ذلك تأتي هذا الدراسة لتلقي الضوء على المشروع الإيرانى بوجه عام، والوقوف على أدواته وآليات تنفيذ هذا المشروع، والتعرف على طبيعة العلاقات الإيرانية العربية، وأخيراً سبل مجابهة المشروع الإيراني في المنطقة العربية.

كلمات مفتاحية: المشروع الإيراني، العلاقات، المنقة العربية، تركيا، الأمن القومي، أدوات، مجابهة.

The Iranian Project and its Impact on Iranian-Arab Relations

Abstract

This study deals with the issue of the Iranian project and its impact on the Arab region. Where the study sheds light on the relations of the Arab countries with Iran and its impact on the regional and international situations, in the absence of agreement between decision-makers in the Arab countries and the inability to adopt an Arab strategy capable of protecting their regional security, as well as the tools for implementing this strategy, and on the contrary Arab politics witnessed different forms of differences, despite the presence of many factors that could contribute to supporting the rapprochement between them, and the threats facing them could be an important motivation for cooperation between them, and within the same context, it became clear that the policy of Arab countries is concerned with their national security without regard to the interests of other Arab countries in the absence of a joint Arab strategy.

The study also sheds light on the threats and challenges faced by the Arab region, which greatly affect the course of regional and international situations, such as the repercussions of the rise of some countries, including Turkey and Iran, as influential regional powers in the region after 2011, due to Arab countries directing their policy to confront internal threats, and the absence of The Arab strategy in the face of both Turkey and Iran had a significant impact on Arab regional security.

In light of the instability that characterizes the Arab regional system due to the internal factors facing these Arab countries, the Iranian moves and influence in the region have had a significant impact on Arab national security because they have the ability to achieve or not achieve stability in the Arab region.

Based on that, this study comes to shed light on the Iranian project in general, and to identify its tools and mechanisms for implementing this project, and to identify the nature of Iranian-Arab relations, and finally, ways to confront the Iranian project in the Arab region.

Keywords: Iranian project, relations, the Arab region, Turkey, national security, tools, confrontation.

مقدمة

عرفت المنطقة بين نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين العديد من هذه المشروعات مثل "السوق الشرق أوسطية" وفي ظلها عقدت سلسلة مؤتمرات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا في الدار البيضاء ١٩٩٤، وعمّان ١٩٩٥، والقاهرة ١٩٩٦، والدوحة ١٩٩٧، ومشروع "الشرق الأوسط الكبير" الذي طرحته الولايات المتحدة بعد غزو العراق في عام ٢٠٠٣، إضافة إلى مشروع "الشراكة المتوسطية" وغيرها. وفي الوقت الذي اختفت فيه بعض المشروعات السابقة، وتعرض بعضها الآخر لمشكلات وانتكاسات كبيرة، فإن المؤشرات تقول إن المنطقة العربية واقعة الآن بين مشروعين إقليميين متنافسين يسعيان إلى ملء فراغ القوة أو الفراغ الاستراتيجي فيها، ولاسيما في ظل تعثر المشروع الأمريكي لإعادة رسم خريطة المنطقة ودمقرطتها، وتراجع مشروع الهيمنة الإسرائيلي بسبب الأزمة التي تعانيها عملية السلام، الأول؛ هو المشروع التركي، والثاني هو المشروع الإيراني. وإذا كانت كل مشروعات الهيمنة التي تعرضت لها المنطقة العربية على مر تاريخها الحديث قد استغلت غياب المشروع الخاص بأهلها، فإن المشروعين المتنافسين، الإيراني والتركي، يستثمران كذلك غياب المشروع العربي أو تعثره، لكي ينفذا إلى المنطقة عبر آليات مختلفة، سياسية وثقافية وأيديولوجية[١].

أدت الثورة الخمينية إلى انقلاب تامفي واقع الشعب الفارسي وتاريخه المعاصر، ولم تقتصر نتائج هذه الثورة على تغيير الحكم وشكل النظام الإيراني من ملكي إلى جمهوري فقط، بل طالت جذور النظام من العلماني إلى الديني المذهبي –الجعفري الاثني عشري– وَفق تفسير سياسي يتجاوز قضية الإمام الغائب إلى نظرية سياسية معدلة هي نظرية الولي الفقيه، جاء ذلك في كتاب الخميني "الجمهورية الإسلامية" إذ نصت المادة الثانية من الدستور الإيراني على أن "الدين الرسمي للدولة هو الإسلام، والمذهب هو المذهب الجعفري الاثنا عشري، وهذه المادة إلى الأبد غير قابلة للتغيير[٢] .

تلاحظ بشكل واضح اعتماد الثورة الخمينية الثورة على القوة الناعمة والخشنة معًا، وفي مقدمتها القوة الدينية والمذهبية والتاريخية والسلوك الطائفي في مخاطبة الشعوب العربية

(١) شحاتة محمد ناصر، "المنطقة العربية بين المشروعين التركى والإيرانى"، دراسات وتقارير، (أبوظبى: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٨)، ص٢٠.

(٢) عبد الحليم خدام، التحالف السوري الإيراني والمنطقة (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠١٠)، ص٥٥.

والإسلامية، وكشفت أدبيات هذه الثورة عن رغبة إيرانية واضحة في تمثيل المسلمين وحكم العالم الإسلامي وفق نظرية الولي الفقيه؛ فالعرب والترك سبق لهم أن قادوا العالم الإسلامي وحان دور الفرس في هذه المرحلة، وبذلك أعادت إيران أمل التطلع إلى السلطة للفئات الشيعية السياسية في المنطقة العربية ولحركات إسلامية كانت في مرحلة صراع مع حكومات عربية قومية ويسارية حول صلاحية المرجعية الإسلامية لأنظمة الحكم، وخدعت كثيرًا من قيادات الحركات الإسلامية بخطاب الخميني الذي أظهر رغبة في الوحدة الإسلامية ونبذ الخلاف المذهبي بين المسلمين.

ورغم ذلك فقد أثار شعار تصدير الثورة خوفَ عدة دول عربية من تبعاتها على أنظمتها السياسية وتأثيرها السلبي على النسيج الاجتماعي العربي، وعزز هذا الخوف سعي إيران لاستقطاب الرموز الفكرية والدينية والنخب والطلاب، وتكوين مؤسسات متخصصة بهذا الشأن يشرف عليها المرشد الإيراني وتخضع لسلطته مباشرة وتعمل في المجالين المدني والعسكري، مهمتها نشر أفكار الثورة الإيرانية وشعاراتها مثل: مقاومة قوى الاستكبار والشيطان الأكبر، ومناصرة المظلومين، وتحرير فلسطين من اليهود.

ومن الملاحظ أنه بقدر ما شكل المشروع الإيراني عاملَ جذبٍ للحركات الشيعية العربية التي تدين للولي الفقيه من كحزب الله اللبناني وحركة أنصار الله اليمنية، ولبعض الحركات السنية مثل حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وبعض فروع وشخصيات الإخوان المسلمين؛ كانت نتائجه عكسية سلبية على علاقات إيران بالمجتمعات العربية وأنظمتها بعد انكشاف الوجه الطائفي لهذا المشروع الخطير[1] .

يقوم مشروع إيران الإيديولوجي على كون إيران دولة متفردة قادرة على طرح بديل جديد عن أنظمة الحكم المختلفة، لا يتبع للغرب الديمقراطي ولا للشرق الشيوعي، وفكرة هذا التفرد لم يستمدها الخميني من الفقه الشيعي بل هي دائمة الحضور في الثقافة الفارسية المستبطنة للتاريخ، المعتقدة بتفرد الحضارة الإيرانية الفارسية، وهنا تأتي فكرة التشيع الصفوي بصفتها معزِّزةً للعصبية الفارسية وفقًا للنظرية الخلدونية التي تعد العمران والحضارة نتيجة التزاوج بين العصبية والفكرة، والعصبية هنا هي العرق الفارسي الآري بتاريخه الحضاري القديم، والفكرة هي التشيع الصفوي بنموذجه المعدل المسمى "نظرية الولي الفقيه". إن المتتبع لمسيرة الثورة الخمينية يلحظ بشكل واضح اعتماد هذه الثورة على القوة الناعمة والخشنة معًا، وفي مقدمتها القوة الدينية

(١) إبراهيم عبد الكريم وآخرون، مشاريع التغيير في المنطقة العربية ومستقبلها (عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط، ٢٠١٢)، ص ٤٤.

والمذهبية والتاريخية والسلوك الطائفي في مخاطبة الشعوب العربية والإسلامية، وكشفت أدبيات هذه الثورة عن رغبة إيرانية واضحة في تمثيل المسلمين وحكم العالم الإسلامي وفق نظرية الولي الفقيه؛ فالعرب والترك سبق لهم أن قادوا العالم الإسلامي وحان دور الفرس في هذه المرحلة لتسنم مركز القيادة، وبذلك أعادت إيران أمل التطلع إلى السلطة للفئات الشيعية السياسية في المنطقة العربية ولحركات إسلامية كانت في مرحلة صراع مع حكومات عربية قومية ويسارية حول صلاحية المرجعية الإسلامية لأنظمة الحكم، وخدعت كثيرًا من قيادات الحركات الإسلامية بخطاب الخميني الذي أظهر رغبة في الوحدة الإسلامية ونبذ الخلاف المذهبي بين المسلمين(١) .

ورغم ذلك، فقد أثار شعار تصدير الثورة خوفَ عدة دول عربية من تبعاتها على أنظمتها السياسية وتأثيرها السلبي على النسيج الاجتماعي العربي، وعزز هذا الخوف سعي إيران لاستقطاب الرموز الفكرية والدينية والنخب والطلاب، وتكوين مؤسسات متخصصة بهذا الشأن يشرف عليها المرشد الإيراني وتخضع لسلطته مباشرة وتعمل في المجالين المدني والعسكري، مهمتها نشر أفكار الثورة الإيرانية وشعاراتها مثل: مقاومة قوى الاستكبار والشيطان الأكبر، ومناصرة المظلومين، وتحرير فلسطين من اليهود(٢).

ومن الملاحظ أنه بقدر ما شكل المشروع الإيراني عاملَ جذب للحركات الشيعية العربية التي تدين للولي الفقيه من كحزب الله اللبناني وحركة أنصار الله اليمنية، ولبعض الحركات السنية مثل حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وبعض فروع وشخصيات الإخوان المسلمين؛ كانت نتائجه عكسية سلبية على علاقات إيران بالمجتمعات العربية وأنظمتها بعد انكشاف الوجه الطائفي لهذا المشروع الخطير (٣).

لم تعد الاستراتيجية الإيرانية خفيَّة رغم محاولات إيران انتهاج سياسة مزدوجة ذات أبعاد متعددة؛ فطابعها الحداثي يقرُّ شكل الدولة القطرية، وفي الوقت ذاته تعمل على استعادة الإمبراطورية الفارسية ومكانتها في المنطقة من خلال صناعة ميليشيات عسكرية شيعية داخل الدول، مهمَّتُها العمل للسيطرة على الحكومات مع الإبقاء على شكل الدولة الصُّوْريّ، وإدارةُ الدولة بواسطة أذرع طائفية تدين بالولاء للولي الفقيه الإيراني، الأمر الذي سيؤهل إيران

(١) موقع سماحة آية الله مصباح اليزدي، نسخة محفوظة ٠٥ مارس ٢٠١٦ على موقع واي باك مشين.

(٢) عبد الحليم خدام، مرجع سبق ذكره، ص ١٩.

(٣) الحكومة الإسلامية, الخميني (بيروت: مركز بقية الله، الطبعة الثالثة، ب.ت.)، ص ١٠٩.

للاضطلاع بدور إقليمي ودولي، وقد طبقت هذه الاستراتيجية في لبنان والعراق واليمن، والعمل جارٍ عليها في سورية.

يقوم مشروع إيران الإيديولوجي على كون إيران دولة متفردة قادرة على طرح بديل جديد عن أنظمة الحكم المختلفة، لا يتبع للغرب الديمقراطي ولا للشرق الشيوعي، وفكرة هذا التفرد لم يستمدها الخميني من الفقه الشيعي بل هي دائمة الحضور في الثقافة الفارسية المستبطنة للتاريخ، المعتقدة بتفرد الحضارة الإيرانية الفارسية، وهنا تأتي فكرة التشيع الصفوي بصفتها معزِّزةً للعصبية الفارسية وفقًا للنظرية الخلدونية التي تعد العمران والحضارة نتيجة التزاوج بين العصبية والفكرة، والعصبية هنا هي العرق الفارسي الآري بتاريخه الحضاري القديم، والفكرة هي التشيع الصفوي بنموذجه المعدل المسمى "نظرية الولي الفقيه".

الإطار النظرى والدراسات السابقة

أولاً: الإطار النظري

توجد العديد من النظريات التى ساهمت فى تفسير العلاقات بين الدول، بداية من النظرية الواقعية التى قامت على أنقاض النظرية المثالية، وعظمت من القيم فى العلاقات الدولية،والتى اعتبرت الدولة الفاعل الرئيسى النظام الدولى أما العناصر الفاعلة الأخرى فهى ذات أهمية أقل، وأن النظام العالمى فوضوى يسوده نمط الصراع وتسير مصالحة وفقاً للمصالح النفعية، وينطلق الفكر الواقعى من افتراض أساس مفاده أن السياسة الدولية فى مجمالها هى تجسيد لحالة مستمرة من الصراع من أجل القوة بين الدول تسعى كل منها لتعظيم مصالحها على حساب الآخرين.

هذه النظريات ملائمة لدراسة العلاقات بين الدول، لكن النظرية التى تتلاءم مع دراسة العلاقات التركية الإيرانية وتأثيرها على الأمن القومى العربى هى النظرية الواقعية الكلاسيكية الجديدة؛ حيث عمد أنصار هذه النظرية لإعادة صياغة بعض أطروحات النظرية الواقعية التقليدية لتتلاءم مع الواقع ولاسيما فكرة تأثير البيئة الداخلية على السلوك الخارجى للدول، كما عمد هؤلاء إلى تخفيف حدة الفصل بين البيئتين الداخلية والخارجية، كماأولوا أهمية ما للمحددات الداخلية بجانب محددات البيئة الخارجية فى تفسير السياسة الخارجية للدول [١].

(١) جمال سلامة على، تحليل العلاقات الدولية (القاهرة: دار النهضة العربية، ٢٠١٣)، ص ص ٢٩٣-٣٥٨.

ثانيًا: الدراسات السابقة

(١)طايل يوسف عبد الله" الإستراتيجية الإقليمية لكل من تركيا وإيران نحو الشرق الأوسط (٢٠٠٠ – ٢٠١٣)"[١].

تناولت هذه الدراسة الجوانب الرئيسية التى تقوم عليها الإستراتيجية الإقليمية لكل من إيران وتركيا فى منطقة الشرق الأوسط، وبيان تأثير البيئة المحلية والإقليمية والدولية عليها كما هدفت أيضاً إلى التعرف على التحولات الراهنة فى منطقة الشرق الأوسط على الإستراتيجية الإقليمية لكل منهما، وتدور الدراسة حول تحليل هاتين الإستراتيجتين وما تسعيان لتحقيقه من أهداف فى منطقة الشرق الأوسط.وقد توصلت الدراسة إلى بعض النتائج منها:

(أ) أن الإستراتيجية الإيرانية تقوم على المصالح القومية الإيرانية التى تستثمر الموقع الإستراتيجى والموارد الاقتصادية كأدوات فى الحفاظ على تلك المصالح بما يعزز قوتها وتاثيرها الإقليمى الذى يمكنها من السيطرة والتأثير فى المعابر المائية فى الخليج، وذلك لفرض أيديولوجيتها القائمة على مبادئ الشيعية السياسية عبر استثمار الروابط الطائفية والإثنية فى الجوار، بما يمكنها من بلورة موقف ضد السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية.

(ب) تنظر إيران للأزمة السورية على أنها مؤامرة يحيكها الأعداء للنظام السورى، وأن التظاهرات فتنة على غرار الفتنة الإيرانية التى حدثت فى عام ٢٠٠٩م، وأن المتظاهرين فى سوريا هم عملاء للخارج، ويتلقون أوامرهم من الأعداء الصهاينة للإطاحة بالنظام السورى المقاوم للخطط الإسرائيلية والأمريكية فى المنطقة.

(٢) شنين محمد المهدى:السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول المشرق العربي (٢٠٠١–٢٠١٣) [٢].

تناولت الدراسة السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول المشرق العربي في محاولة لفهمها وتحليلها، وكذلك مظاهر الحضور الإيراني في العديد من الملفات الإقليمية؛ حيث أصبحت إيران

---

(١) طايل يوسف عبد الله ، "دوافع العلاقات الإيرانية . التركية وأبعادها"، رسالة ماجستيرغير منشور (عمان: كلية الأداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٣)، ص ١٦٢.

(٢) شنين محمد المهدي، "السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول المشرق العربي "٢٠٠١ – ٢٠١٣"، رسالة ماجستير غير منشوره (الجزائر: كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد خيضر بسكرة، ٢٠١٤)، ص ص ١٣٢-١٣٦.

فاعلاً إقليميًا ذا ثقل مركزي كبير في المنطقة العربية. وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج منها:

(أ) امتلاك إيران لإمكانات اقتصادية ضخمة تؤهلها للقيام بدور إقليمي فاعل.

(ب) أن الموقع الجغرافي المتميز لإيران يساعدها على أن تكون طرفًا فاعلاً في نظم العديد من النظم الإقليمية.

(ج) أن البيعة الدولية تشكل ضاغطًا قويا على إيران خاصة بعد تمدد دوره االإقليمي وتطوير برنامجها النووي.

(هـ) تعدد آليات السياسة الإيرانية وتنوعها، فإيران لا تعتمد على وسيلة واحدة في تخطيط، وذلك من واقع أن اختلاف الآليات يختلف باختلاف طبيعة الدور وتنوع المناطق المستهدفة، لكن من الواضح أن إيران تعتمد في تنفيذ استراتيجيتها منطقة الشرق الأوسط على الآليات الأمنية العسكرية والدعائية والتأثير الطائفي.

(و) تعتبر سوريا أهم أضلاع الإستراتيجية الإيرانية في المشرق العربي؛ حيث زاد النفوذ الإيراني بعد الحراك الشعبي في سوريا؛ إذ ترى إيران أن خسارة النظام السوري سوف تعني تحيد دورها الإقليمي.

(ز) يرتبط حزب الله بروابط تاريخية مع إيران التي كانت وراء نشأته، كم ايشترك معها بروابط عقائدية، كما يرتبط مستقبلا لدور الإقليمي الإيراني بمخرجات الأزمة السورية والتي تعتبرها إيران رهانًا على دورها الإقليمي في المنطقة، لكن المصالح الإيرانية تضررت بقوة بفعل الربيع العربي، وهو ما يمكن أن ينعكس سلبا على مستقبل الدور الإيراني والذي سيقتصر نشاطه على المكونات الشيعية فقط.

(٣) عطا عبد الغنى: السياسة الإيرانية تجاه الثورات العربية (٢٠١١ – ٢٠١٣)[(١)].

تناولت الدراسة بالتحليل السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الثورات العربية وأبعادها المختلفة وتأثير مواقفها وأثرهاعلى هذه الثورات، كما تناولت ركائز السياسة الإيرانية تجاه الدول العربية، وكيف تطورت علاقات الدولة الإيرانية، وقد توصلت الدراسة إلى بعض النتائج منها:

(١) عطا عبد الغني خميس الجزار، "السياسة الإيرانية تجاه الثورات العربية ٢٠١١ – ٢٠١٣"، رسالة ماجستير غير منشوره (القدس: أكاديمية أعداد القادة للدراسات العليا،جامعة الأقصى، ٢٠١٥)، ص ١٣٢.

(أ) أن سقوط الاتحاد السوفيتي السابق أثر على السياسة الخارجية الإيرانية من خلال ظهور دويلات على حدودها في أغلبها غير متماسكة ومخترقة أمنيًا، وهو ما يؤثر سلبًاعلى أمن إيران القومي.

(ب) كما أن سقوط الاتحاد السوفيتي السابق فتح الباب أمام إيران للتوجه نحو آسيا الوسطى ودولها التي أصبحت سوقًا استهلاكية مهمة للمنتجات الإيرانية. وبالمقابل فقد تدهورت العلاقات بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية بسبب خلافهما حول البرنامج النووي الإيراني وأهدافها لحقيقية.

(ج) أدى سقوط الاتحاد السوفيتي السابق إلى غاية الحقبة الأيديولوجية في العلاقات الدولية بحيث أصبحت أيديولوجية واحدة سائدة وهي الأيديولوجية الرأسمالية التي تزعمتها الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية، إلا أن هذا التحول لم يؤثر في السياسة الخارجية الإيرانية، إذ ما يزال أن الطابع الأيديولوجي هو المميز لها؛حيث سعت إيران دائما ومنذ نجاح ثورتها الإسلامية في عام ١٩٧٩م لتصدير الأيديولوجية الشيعية إلى دول العالم الإسلامي.

فروض الدراسة وتساؤلاتها

أولاً فروض الدراسة

- تفترض الدراسة أن السياسة التي اتبعتها إيران تجاه المنطقة العربية نابعة في الأساس من مشروع خاص تنفذه إيران.
- تفترض الدراسة أن إيران تعتمد على مجموعة من الأدوات لفرض مشروعها المنطقة العربية.

ثانيًا: تساؤلات الدراسة

- ما طبيعة المشروع الإيرانى؟
- ما النظريات التى يستند إليها المشروع الإيرانى الإقليمي؟
- ما آليات تنفيذ المشروع الإيرانى بالمنطقة؟
- ما أدوات القوة الناعمة والقوة الصلبة للمشروع الإيرانى؟
- ماطبيعة علاقة إيران بالدول العربية؟
- كيف يمكن مواجهة المشروع الإيرانى بالمنطقة؟

أهداف الدراسة:

- إلقاء الضوء على المشروع الإيرانى بوجه عام.
- التعرف على المشروع الإيرانى وأدواته وآليات تنفيذه.
- التعرف على أدوات القوة الناعمة والقوة الصلبة للمشروع الإيرانى .
- التعرف على علاقة إيران بالدول العربية.
- الوقوف على كيفية مواجهة المشروع الإيرانى .

المبحث الأول:
المشروع الإيرانى والنظريات التى يعتمد عليها وآليات تنفيذه

منذ قيام الثورة الإسلامية بإيران في سبعينيات القرن المنصرم وهي تحاول تصدير مشروعها، وكانت ترى في بعض النظم بالمنطقة نواة يمكن البناء عليها، ويمكن اعتبارها النظير السني للمشروع الشيعي، ولذا وجب تعريف المشروعن ومرتكزاته الفكرية، وآليات إنفاذه على أرض الواقع.

المطلب الأول: تعريف بالمشروع الإيرانى

مثَّلت الثورة الخمينية انقلابًا تامًا في واقع الشعب الفارسي وتاريخه المعاصر، ولم تقتصر نتائج هذه الثورة على تغيير الحكم وشكل النظام الإيراني من ملكي إلى جمهوري فقط، بل طالت كينونة النظام من العلماني إلى الديني المذهبي "الجعفري الاثني عشري"، وفق تفسير سياسي يتجاوز قضية الإمام الغائب إلى نظرية سياسية معدلة هي نظرية الولي الفقيه، جاء ذلك في كتاب الخميني "الجمهورية الإسلامية" إذ نصت المادة الثانية من الدستور الإيراني على أن "الدين الرسمي للدولة هو الإسلام، والمذهب هو المذهب الجعفري الاثني عشري، وهذه المادة إلى الأبد غير قابلة للتغيير"[١].

إن المتتبع لمسيرة الثورة الخمينية يلحظ بشكل واضح اعتماد هذه الثورة على القوة الناعمة والخشنة معًا، وفي مقدمتها القوة الدينية والمذهبية والتاريخية والسلوك الطائفي في مخاطبة الشعوب العربية والإسلامية، وكشفت أدبيات هذه الثورة عن رغبة إيرانية واضحة في تمثيل المسلمين وحكم العالم الإسلامي وفق نظرية الولي الفقيه؛ "فالعرب والترك" سبق لهم أن قادوا العالم الإسلامي وحان دور "الفرس" في هذه المرحلة لتسنم مركز القيادة، وبذلك أعادت إيران أمل التطلع إلى السلطة للفئات الشيعية السياسية في المنطقة العربية ولحركات إسلامية كانت في مرحلة صراع مع حكومات عربية قومية ويسارية حول صلاحية المرجعية الإسلامية لأنظمة الحكم، وخدعت كثيرًا من قيادات الحركات الإسلامية بخطاب الخميني الذي أظهر رغبة في الوحدة الإسلامية ونبذ الخلاف المذهبي بين المسلمين.

ورغم ذلك فقد أثار شعار تصدير الثورة خوفَ عدة دول عربية من تبعاتها على أنظمتها السياسية وتأثيرها السلبي على النسيج الاجتماعي العربي، وعزز هذا الخوف سعى إيران

(١) عبد الحليم خدام، التحالف السورى الإيرانىوالمنطقة (القاهرة: دار الشروق، ٢٠١٠)، ص ٥٥.

لاستقطاب الرموز الفكرية والدينية والنخب والطلاب، وتكوين مؤسسات متخصصة بهذا الشأن يشرف عليها المرشد الإيراني وتخضع لسلطته مباشرة وتعمل في المجالين المدني والعسكري، مهمتها نشر أفكار الثورة الإيرانية وشعاراتها، "مقاومة قوى الاستكبار والشيطان الأكبر، ومناصرة المظلومين، وتحرير فلسطين من اليهود"، ومن الملاحظ أنه بقدر ما شكل المشروع الإيراني عاملَ جذبٍ للحركات الشيعية العربية التي تدين للولي الفقيه من كحزب الله اللبناني وحركة أنصار الله اليمنية، ولبعض الحركات السنية مثل حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين وبعض فروع وشخصيات الإخوان المسلمين؛ كانت نتائجه عكسية سلبية على علاقات إيران بالمجتمعات العربية وأنظمتها بعد انكشاف الوجه الطائفي لهذا المشروع الخطير(١).

لم تعد الإستراتيجية الإيرانية خفيَّةً رغم محاولاتِ إيران انتهاجَ سياسة مزدوجة ذات أبعاد متعددة؛ فطابعها الحداثي يقرُّ شكل الدولة القطرية، وفي الوقت ذاته تعمل على استعادة الإمبراطورية الفارسية ومكانتها في المنطقة من خلال صناعة ميليشيات عسكرية شيعية داخل الدول، مهمَّتُها العمل للسيطرة على الحكومات مع الإبقاء على شكل الدولة الصُّوْريّ، وإدارةُ الدولة بواسطة أذرع طائفية تدين بالولاء للولي الفقيه الإيراني، وهو الأمر الذي سيؤهل إيران للاضطلاع بدور إقليمي ودولي، وقد طبقت هذه الاستراتيجية في لبنان والعراق واليمن، والعمل جارٍ عليها في سوريا، كما يقوم مشروع إيران الإيديولوجي على كون إيران دولة متفردة قادرة على طرح بديل جديد عن أنظمة الحكم المختلفة، لا يتبع للغرب الديمقراطي ولا للشرق الشيوعي، وفكرة هذا التفرد لم يستمدها الخميني من الفقه الشيعي بل هي دائمة الحضور في الثقافة الفارسية المستبطنة للتاريخ، المعتقدة بتفرد الحضارة الإيرانية الفارسية، وهنا تأتي فكرة التشيع الصفوي بصفتها معزِّزةً للعصبية الفارسية وفقًا للنظرية الخلدونية التي تعد العمران والحضارة نتيجة التزاوج بين العصبية والفكرة، والعصبية هنا هي العرق الفارسي الآري بتاريخه الحضاري القديم، والفكرة هي التشيع الصفوي بنموذجه المعدل المسمى "نظرية الولي الفقيه"(٢).

(١) إبراهيم عبد الكريم وآخرون، مشاريع التغيير فى المنطقة العربية ومستقبلها (عمان: مركز دراسات الشرق الأوسط، ٢٠١٢)، ص ٤٤.

(٢) المرجع السابق، ص٦٢.

المطلب الثاني: الأساس النظري للمشروع الإيراني

يرتكن المشروع الإيراني على عدد من النظريات والمنطلقات الفكرية التي يستمد منها قوته الفكرية وأساسه الإيديولوجي، لعل من أبرز تلك المنطلقات:

أولًا: نظرية الولي الفقيه

لو قام الشخص الحائز لهاتين الخصلتين "العلم بالقانون والعدالة" بتأسيس الحكومة، تثبت له الولاية ذاتها التي كانت ثابتة للرسول الأكرم (ص)، ويجب على جميع الناس إطاعته؛ فتوَهُّمُ أنَّ صلاحيات النبي (ص) في الحكم كانت أكثر من صلاحيات أمير المؤمنين (ع) وصلاحيات أمير المؤمنين (ع) أكثر من صلاحيات الفقيه هو توهُّمٌ خاطئ وباطل، هذه الفقرة من كتاب "الحكومة الإسلامية" للخميني تدخل بنا مباشرة إلى ولاية الفقيه كما نظر إليها "النراقي" مستدلًا بأدلته مثل مقبولة "عمر بن حنظلة" وغيرها، معتمدًا على قواعده الفكرية واجتهاداته التي أرساها بعد أن نفاه إلى العراق الشاه "محمد رضا بهلوي" سنة ١٩٦٣.

إذن الأدلةُ التي تدل على وجوب الإمامة هي الأدلة ذاتها التي تدل على وجوب ولاية الفقيه عنده, فهي أمور اعتبارية عقلانية توجد بالجعل والتبني والوضع الإنساني أيضًا, وذلك كجعل القيّمِ للصغار، فالقيّم على الأمة لا يختلف عن القيم على الصغار من ناحية الوظيفة، والفقهاء هم ورثة الأنبياء وأمناء الرسل، وهم لم يرثوا العلم والحديث فقط كما هو ظاهر الروايات, فالولاية قابلة للانتقال والتوريث أيضًا[١].

وتعتقد الشيعة "الاثنا عشرية" المعاصرة أنَّ الولاية المطلقة للفقيه تجعل الفقيه ينتقل من الحكم الأوَلي إلى الحكم الثانوي في فترة معينة لإحاطته بالفقه والمصالح الإسلامية، ويعتقدون أيضًا أن الحكم الثانوي قد يكون من الأحكام الإلهية نتيجة للتنصيب الإلهي العام للولي الفقيه؛ فجعل الخميني لنفسه الولاية على الأمة بوصفه ممثلًا للنيابة عن الإمام المطلق في فترة غيبته الكبرى، ومن حقِّه بل واجبه التدخل في كل شئون الدول الإسلامية لما يمثله من الولاية العامة على المسلمين[٢].

(١) الخميني، الحكومة الإسلامية (بيروت: مركز بقية الله، ط٣، ٢٠١٦)، ص ١٠٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٥٠: ١٥١.

عارضَ نظريةَ الولي الفقيه بعضُ الشيعة في لبنان أو من يطلق عليهم "مدرسة جبل عامل" لا سيما (محمد حسين) النائيني القائل "بولاية الأمة" على نفسها، وسار على نهجه (محمد مهدي شمس الدين – محمد حسين فضل الله ثم محمد حسين الأمين وهاني فحص وغيرهما) [١].

ثانيًا: نظرية أمِّ القرى

نظرية أم القرى لصاحبها "محمد جواد لارجاني"، هي استعارة من الاسم الذي يطلق على مكة المكرمة، قال تعالى: {وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الأنعام: ٩٢]، وقد قيل: [إن مكة سميت "أمّ القُرى" لتقدُّمها أمامَ جميعِها، وجَمْعِها ما سواها]، فهل أراد "لارجاني" من ذلك قدسيةً ما لإيران، أم المركزية وتبعية من حولها لها، أم أراد الاثنين معًا؟[٢].

إن نظرية أم القرى حسب هذا التصور ترشح الجمهورية الإيرانية الشيعية بوصفها دولةً جمعت الشروط اللازمة لكي تصبح أم قرى العالم الإسلامي، وهي تعد نفسها بمنزلة " القلب المذهبي والدولة المركزية للعالم الشيعي والإسلام الصحيح"، ومن يمتلك القلب المذهبي الشيعي وفق الإمكانيات والموارد المتوفرة المتاحة لإيران اليوم ينبغي عليه السعي لتحقيق هدفه المذهبي النهائي، وهو التوسع لبناء الإمبراطورية الشيعية الموعودة لتكون نواة دولة المهدي الشيعي المنتظر الذي سينقذ العالم، ولا شك بأن إيران الدولة والثورة الخمينية تسعى للانتقال من فكرة "أم القرى" بإطارها النظري إلى بعدها الإجرائي، فمشروع "أم القرى" لن يتحقق إلا إذا تمت السيطرة على المجال الحيوي المطلوب، وبدونه لن تقوم دولة إيرانية مذهبية عظمى إقليميًّا، وقادة "أم القرى" في إيران يريدون توظيف الظروف والمتغيرات الإقليمية القائمة لتصبح من خلالها إيران قائدة للإقليم كله بما فيه من مصادر القوة الكامنة، وقد مهدت إيران لجمع عقد "أم القرى" بهدف إيجادِ مجالات داعمة لهذه القوة ولنظمِ عقدِ حباتها مذهبيًا وجغرافيًّا؛ فالعالم الشيعي بحكم هذه التطورات يتجه لأن يصبح وحدة مذهبية شيعية وسياسية بعد أن يتحقق هدفه النهائي بتكوين الإمبراطورية الشيعية الموعودة[٣].

---

(١) مجموعة من الباحثين، القوة الناعمة فى المنطقة العربية (السعودية – تركيا – إيران)، دراسة فى الإستراتيجيات وتأثيرها(القاهرة: مركز الفكر الاستراتيجى للدراسات، ٢٠١٨)، ص ٢٠٥.

(٢) تفسير الطبرى، (١٠٨ / ١).

(٣) محمد جواد لارجاني، ترجمة نبيل عتوم، مقولات فى الاستراتيجية الوطنية: شرح نظرية أم القرى الشيعية (لندن: مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية، ٢٠١٣)، ص ص ٩ –١٠.

المطلب الثالث: آليات تنفيذ المشروع الإيراني

لإيران خطة عمل تسمى "الخطة الخمسينية"، تُنفَّذ خلال خمسين عامًا، وهي مقسمة على خمس مراحل،**الأولى:** التأسيس ورعاية الجذور، وتعتمد على إيجاد تكتل صفوي في البلدان المستهدفة، الثانية: مرحلة البداية، وجوهر هذه المرحلة عنصران: **أولهما** شرعنة الوجود الإيراني في تلك الدول، و**الثاني** الوقيعة بين حكومات هذه الدول وأهل السنة. **الثالثة:** مرحلة الانطلاق، وفيها توطَّدُ علاقات العملاء الإيرانيين بالأنظمة الحاكمة والمؤسسات الحكومية دون إظهار أنشطة دينية، ويزيد النفوذ الإيراني في الأجهزة الأمنية والحكومية، وكذلك التغول الاقتصادي. **الرابعة:** بداية قطف الثمار، وتعتمد على إحداث الوقيعة بين الحكام والشعوب بزعاماتها السنية، فعن طريق السيطرة الإيرانية على اقتصاديات الدولة يحدث الخلل الاقتصادي بين النظام والشعب، وهو ما يؤدي إلى سخط شعبي، يستغله العملاء الإيرانيون في الوصول إلى مواقع أكثر حيوية وشراء مزيد من الأراضي والمؤسسات والعقارات، بينما هم يقومون بمساندة النظام وحثِّ الناس على الهدوء. أما **الخامسة:** مرحلة النضج، عند الوصول إلى هذه المرحلة يفترض وفق الخطة أن تكون الدولة قد فقدت عناصر قوتها، وهي الأمن والاقتصاد والهدوء، فيستغل العملاء الإيرانيون الفوضى والاضطرابات وانعدام الثقة بين الحكام والشعوب لطرح أنفسهم بصفتهم مُخلِّصين(١).

أولًا: مرتكزات القوة للمشروع الإيراني

١. المرتكز الجغرافي

تتمتع إيران بموقع استراتيجي مهم بجوار المنطقة العربية من جهة الشرق، وإن هذه الطبيعة والموقع الجغرافي واتصالها بضفتي الخليج العربي حقيقة ثابتة لا يمكن تجاوزها ولا الحد من نتائجها التي تكونت عبر التاريخ، فإيران اليوم حلقة وصل بين الشرق والغرب وممر مهم لحركة التجارة العالمية، لكن هذه القيمة قد تضاءلت بعد فتح قناة السويس، وهناك ثلاث دوائر جغرافية تشكل محط اهتمام إيران خارج حدودها:

- دول القوقاز وبحر الخزر أو بحر قزوين وآسيا الوسطى، وتقع شمالي إيران.
- منطقة الجزيرة العربية والخليج العربي، وتقع جنوب إيران.

---

(١) هالة الشمرى، نشرة رابطة أهل السنة فى إيران هذه الخطة المضمنة فى الرسالة السرية للغاية الموجهة من شورى الثورة الثقافية الإيرانية إلى المحافظين فى الولايات الإيرانية(لندن: كتاب الخطة الخمسية وإسقاطهاتها فى مملكة البحرين ، ط ٢، ٢٠٠٨)، ص ١٨.

- المنطقة الواصلة بين إيران والبحر المتوسط، وتشمل: العراق وسوريا ولبنان.

وتكمن أهمية هذه المناطق في كونها تشكل الامتداد المذهبي لإيران؛ لوجود أقليات شيعية فيها، ولأهمية موقعها على معابر مائية مهمة، ولما تتمتع به من ثروات نفطية غنية(١).

٢. المرتكز الديمغرافي

يصل عدد سكان إيران إلى (٨٠) مليون نسمة، فهي تحتل المركز السابع عشر عالميًا التاسع آسيويًا من حيث عدد السكان، وتتكون إيران من مزيج قومي يبلغ (٣٠) قومية يشكل الفرس نسبة (٥٠%) منها، ثم الأذريون الأتراك التتر، وتبلغ نسبتهم (٢٠ %)، يليهم الأكراد ويشكلون نسبة (٩%) من مجموع السكان، ثم العرب ويتركزون في إقليم "عربستان – الأهواز/خوزستان – والأقاليم المطلة على الخليج العربي"، وتتضارب المعلومات عن نسبة السنة في إيران، فهم في الإحصائيات شبه الرسمية (١٠%)، وفي المصادر السنية (٣٠%)، وفي المصادر المستقلة (١٥% – ٢٠%) من سكان إيران(٢).

هذا التنوع العرقي والمذهبي في إيران عامل قوة وضعف في الوقت ذاته، فهو يهدد التماسك الداخلي بين مكونات الشعب الإيراني، وفي الوقت نفسه يشكل عامل تواصل وتمدد خارج الحدود؛ فتقوم إيران بتشجيع سكانها الشيعة على الهجرة للبلاد العربية والاستقرار فيها، وقد استقرت عوائل إيرانية كثيرة في الكويت والعراق والبحرين، وأصبحت هذه الأسر تمارس دورًا ثقافيًا واقتصاديًا كبيرًا في الدول التي استقرت فيها، وتنظم زيارات سنوية للدول العربية تحت غطاء زيارة الأماكن المقدسة الشيعية(٣).

٣. المرتكز التاريخي

إن التاريخ الإيراني الطويل الغني المتعاقب على كثير من الدول والإمبراطوريات يدفع الإيرانيين دائما إلى التطلع خارج الحدود لبناء إيران الكبرى وريثة الحضارة الفارسية، هذا مع تركيز خاص على العرب بسبب الجوار الجغرافي والنفسية الثأرية الإيرانية تجاه العرب، فنهاية الإمبراطورية الفارسية كانت على أيدي العرب المسلمين، ويمكن رصد هذه النفسية الإيرانية

---

(١) جودة حسانين، مرجع سبق ذكره، ص ٤٣٢.

(٢)أحمد صالح بختيار، "الأقليات الإيرانية... ثغرات تسمح بضرب الأمن القومى"، صحيفة الشرق الأوسط (أبو ظبى: صحيفة الشرق الأوسط، العدد ١٣٤٠٠، ٦ أغسطس ٢٠١٥)، ص ١١.

(٣) صباح الموسوي الأحوازى وآخرون، "المشروع الإيرانى فى المنطقة العربية والإسلامية"، دراسة منشورة بمركز أمية للدراسات والبحوث الاستراتيجية (عمان: دار عمان للنشر والتوزيع، ط ٢ ، ٢٠١٢)، ص ٥٥.

المشحونة بعقد التاريخ من خلال الوقوف على تصريحات علي يونسي مساعد الرئيس الإيراني السابق حسن روحاني ووزير الاستخبارات السابق حين وصف بغداد بأنها عاصمة إيران كما كانت في السابق، وكذلك تصريح رحيم صفوي مستشار المرشد عندما قال: **إننا وصلنا إلى البحر المتوسط للمرة الثالثة**، وأيضًا تجد أخبار المهدي عندهم كثيرًا ما تركز على انتقامه من العرب وإعمال السيف فيهم، معبّرةً تعبيرًا طبيعيًّا عما يعتلج في الذهنية الفارسية الرافضية من أوهام أو أحقاد[١].

٤. المرتكز المذهبى

وجدت إيران في التشيع ترسًا يحمي هويتها الثقافية والقومية ورمحًا تطعن به وقوسًا ترمي به سهامها ووسيلة تخترق بها الدول العربية والإسلامية، وما حصل من حروب صفوية عثمانية وما تفعله اليوم في العراق وسورية واليمن يظهر بوضوح مدى اعتماد السلطات الإيرانية على هذا المرتكز، فعلى الصعيد الداخلي تعامل الشيعي العربي الأهوازي من منطلق قومي عنصري، وتعامل السني الفارسي من منطلق طائفي، فهي ترى في الفكر الإسلامي السني مشروعَ تعريب، وترى في الفكر العربي عدوًا تاريخيًا وثقافيًا؛ أما معاملتها الخارجية فتتجه إلى استغلال عواطف الشيعي العربي وربطه بإيران بخطاب طائفيٍّ لتحوّله إلى خنجر إيراني في خاصرة بلده التي يسكنها[٢].

(١) صباح الموسوي، مرجع سبق ذكره، ص ٤٣.

(٢) عبد الحفيظ عبد الرحيم محبوب، إيران تلعب على وتر مظلومية الأقلية (لندن: مستقبل الشرق للدراسات، ٢٠١٦)، ص ٦.

المبحث الثانى:
الأدوات الناعمة والقوة الصلبة للمشروع الإيرانى

تتنوع الأدوات التي تعمل إيران على توظيفها في إنفاذ مشروعها بالمنطقة، بين أدوات القوة الناعمة، وأخرى تتعلق بالقوة الصلبة، واحياناً يتم المزج بين النمطين، بغية الوصول لأفضل النتائج، وهو ما يجعل هناك حاجة للعديد من العوامل والآليات لمواجهة هذا المشروع.

المطلب الأول: الأدوات الناعمة للمشروع الإيراني

أشهر من استعمل مصطلح القوة الناعمة هو "جوزيف ناي" في كتابه الذي حمل نفس العنوان القوة الناعمة، ويحدد "ناي" تعريفا علميا للقوة الناعمة بالقول (soft power) العنوان مصطلح القوة الناعمة يقصد به القدرة علي صياغة خيارات الآخرين و الحصول علي ماتريد منها عبر الجاذبية بدلا من القهر أو الإكراه أو الدفع ألقسري أو العنف [١]، وقوة إيران الناعمة تتمثل في الآتى:

أولاً: الثقافة

نشطت إيران في المجالات الثقافية والفنية والأكاديمية، ووظفت حضورها في هذه الفضاءات لاختراق الإقليم العربي كلِّه، وعملت على استحداث المراكز الثقافية الإيرانية لتكون نقطة ارتكاز مباشرة لدعم الدبلوماسية الشعبية تعويضًا عن انسداد مجالات التواصل السياسي الفاعل خلال حقبة الحصار والعزلة الطويلة التي أعقبت الثورة الخمينية؛ لذلك عُدَّت إيران من أنشط دول العالم الثالث في الدبلوماسية الشعبية والاتصال بالمجتمع المدني.

ثانياً: القيم السياسية

يُعد النظام السياسي الإيراني من أعقد الأنظمة السياسية في العالم؛ذلك أنه يجمع بين الدولة الثيوقراطية والنظام الديمقراطي الحديث، علاوة على أنه يتكون من منظومة معقدة من المؤسسات الرسمية وغير الرسمية التي تشارك وتؤثر في عملية اتخاذ القرار، ومنذ قيام الثورة الخمينية لم يتداول منصب المرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية سوى شخصين: الأول الخميني وبوفاته جاء خامنئي، وفي النظام السياسي الإيراني نجد ثنائية المحافظين والإصلاحيين التي

---

(١) بن عائشة محمد أمين، "القوة الناعمة الإيرانية والدروس المستفادة من التجربة الإيرانية"،المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادي (القاهرة: المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادي، ٢٠١٥)، ص ١٦ .

تشبه ثنائية الديمقراطيين والجمهوريين في الولايات المتحدة مع الفارق الديمقراطي بين التجربتين[1].

ثالثاً: الإعلام

تمتلك إيران إمبراطورية إعلامية هي الأكبر علي مستوي المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط التي تخضع مباشرة للمرشد الأعلى المتمثلة في (وكالة فارس للأنباء)، لقد أكد الدستور الإيراني فى المادة (١٧٠) على حرية التعبير ونشر الأفكار، تقوم إيران بنشر أفكارها عن طرق البث بعدد (٣٠) لغة عالمية، أما في داخل إيران فهناك (٣٠) قناة محلية تبث نصفها بلهجات محلية، إثنية، بالإضافة لوجود محطات وطنية و(٦) محطات تبث لخارج إيران، و(٤) محطات دولية باللغات (العربية – الإنجليزية – إسباني) و تستخدم إيران قضايا عديدة لتوجيه قوتها الناعمة في فضاء الإعلام.

تعتمد إيران منذ الثورة الخمينية ١٩٧٩ علي الإعلام في نشر الثورة و هو ما جاء في كتاب أصدرته مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني في طهران، كما استغلت المد الشيعي في العراق (بعد الغزو الأمريكي للعراق)؛ حيث حرصت إيران علي إغراق العراق إعلاميا بتمويلها لعشرات الفضائيات التي قامت بتصدير الثقافة الشيعية بكل مفاهيمها وأبعادها وكذا الإساءة للتاريخ الإسلامي؛ إذ تطرح وجهة النظر الإيرانية فيه، كذلك الملاحظ أن الخطاب الإعلامي الإيراني لهذه القنوات علي أنها تعمل علي تعبئة الشارع الشيعي و دفعه للانتقام من كل ما هو سني، وهذا إشاعة لثقافة العنف الطائفي كون أن التوتر الطائفي يفيد إيران خاصة في العراق والخليج والجزيرة العربية.

رابعاً: التشيع

تقوم إيران بتوظيف التشيع لتخترق من خلاله العالم العربي، حيث تسعى لإحياء ونشر القومية الفارسية، وتشجيع الطلبة الشيعة العرب الراغبين في استكمال الدراسة في مجال العلوم الشرعية على التوجه إلي "قم" الإيرانية الفارسية التي تستعملها إيران لنشر الثقافة الفارسية من خلال: (مركز تعليم الفارسية – المستشارات الثقافية الإيرانية – المدارس الإيرانية في الخارج – المركز الإسلامي بين الحضارات)، كما تعمل إيران علي نشر المذهب الشيعي في البلدان العربية والإسلامية ذات الأغلبية السنية مثل الجزائر، مصر، المغرب، تونس وسورية مستغلة علاقتها

(١) الدستور الإيرانى، ١٩٨٩.

الودية مع هذه الدول لنشر وترويج مذهبها، وهذا ما يؤدي لتفتيت كيان الأمة. ويعتبر الدكتور " عبد الله فهد ألنفيسي" التشييع إحدى وجهات وأدوات الإستراتيجية الإيرانية لفرض وإحياء القومية الفارسية في الشرق الأوسط والتشييع بالنسبة لإيران منذ عام ١٥٠١، و قدوم الصفويين للحكم هو وسيلة تجييش ضد الدولة العثمانية السنية(١).

كما تشكِّل إيران مركز الجاذبية للشيعة، ليس على المستوى المذهبي فقط بل على المستوى السياسي أيضًا؛ فالسياسة والدين متمثلان في الولي الفقيه المرشد الأعلى الذي يمتلك قوة ناعمة هائلة بحكم الموقعَيْن لدى أتباعه المنتشرين داخل إيران وخارجها، وهم يقومون طوعًا بخدمة مصالح الدولة الإيرانية نظرًا لطبيعة العلاقة الدينية التي تربطهم بتبعية الولي الفقيه؛ وذلك لارتباط الديني بالسياسي بشكل وثيق نظرًا لكون الأخير قائدًا سياسيًّا لإيران إلى جانب كونه مرجعًا دينيًّا.

وتعمل إيران على نشر فهمها للنموذج الشيعي المتمثل بولاية الفقيه (تشيع قومي فارسي) حول العالم، وتُعلي من شأن "قم" بصفتها إطارًا مرجعيًّا مقابل "النجف"؛ لتخريج أئمة موالين لها يعملون سفراء لقوتها الناعمة، وينشرون رسائل إيران الدينية والثورية والإعلامية والثقافية والسياسية. وعلى عكس الأداة الثقافية فإن أداة التبشير الشيعيّ تركز على الخليج العربي الذي يحتل الأولوية في الاستراتيجية الإيرانية العشرينية " إيران ٢٠٢٥ "، وساعد ذلك على تقوية موقع " قم" في اجتذاب أبناء المنطقة، ويبدو ذلك واضحًا في تركيبة البيت الشيعي اللبناني الذي تحول جزء كبير منه من مرجعية النجف إلى " قم" خلال أقل من عقدين، ناهيك عن أن عدد الطلاب العرب الذاهبين إلى " قم " ازداد مقارنة بما كان عليه سابقًا؛ فعدد البحرينيين في " قم " مثلًا زاد عن نظيره في النجف بخمسة أضعاف تقريبًا عام ٢٠٠٩م، كما تسعى طهران لتوحيد الأقليات الشيعية تحت رايتها أينما وُجدت، وتستخدم لنشر التشيع في بيئات أخرى كل ما يساعدها على توسيع نفوذها من المصطلحات كالوحدة الإسلامية والتضامن الإسلامي والتسامح والحوار؛ فينعكس مكسبًا سياسيًّا لها(٢).

---

(١) عبد الله فهد النفيسي، المشروع الإيراني في الشرق الأوسط (عمان: مركز أمية للدراسات والبحوث الإستراتجية، ط ٢، ٢٠١٤)، ص ٥١.

(٢) مجموعة من الباحثين، القوة الناعمة فى المنطقة العربية (السعودية – تركيا – إيران)، مرجع سبق ذكره ، ص ٢١٤.

خامساً: المتاجرة بالقضية الفلسطينية

لا يمكن إنكار ما تقدمه إيران من دعم للقضية الفلسطينية بغض النظر عن المكانة التي تبحث عنها إيران من خلال تقديم هذا الدعم، وتنوع هذا الدعم بين الدعم المادي والمعنوي والرسمي والشعبي، ورغم ذلك كشف استطلاعُ رأي للنخبة العربية أجراه مركز الجزيرة للدراسات أنَّ أغلبية العيِّنة ترى أن إيران تستغل القضية الفلسطينية ولم يعد لحديثها عن فلسطين أي مصداقية، فقد وافق ٨٨% منها على أن إيران تستغل القضية الفلسطينية لتعزيز نفوذها في العالم العربي وعارض ١٢% هذه الفرضيةَ[١].

المطلب الثاني: القوة الصلبة الإيرانية في المنطقة العربية

تعتمد إيران في قوتها الصلبة على شبكة كبيرة من الخلايا والمليشيات الشيعية الطائفية، فهي تأتمر بأمر الولي الفقيه الإيراني وتشكل حالة مسلحة خارج سيطرة الدولة، وأحيانًا تتحول هذه المليشيات إلى قوة مسيطرة حتى على الدولة نفسها، وتتم شرعنة وجود مثل هذه المليشيات بحجة محاربة الإرهاب تارة وبحجة المقاومة والممانعة تارة أخرى، وأهم هذه الأذرع الإيرانية في المنطقة العربيةالآتى:

أولاً: حزب الله الشيعي اللبناني

تأسس حزب الله عام ١٩٨٢ نتيجة انشقاق التيار الخميني في حركة أمل الشيعية إثر انضمام الأخيرة إلى جبهة الإنقاذ اللبنانية الوطنية، التي تضم مختلف القوى السياسية اللبنانية التي رفضتها إيران حينذاك؛ لذلك قرر الخمينيون في الحركة الانشقاق وتأسيس الحزب، ففي بيان صادر عن الحزب في ١٦ فبراير ١٩٨٥م أن الحزب "**ملتزم بأوامر قيادة حكيمة وعادلة تتجسد في ولاية الفقيه، وتتجسد في روح الله آية الله الموسوي الخميني مفجر ثورة المسلمين وباعث نهضتهم المجيدة**".

إذن فحزب الله مؤسسة عسكرية أمنية سياسية دينية من المؤسسات الإيرانية في لبنان، وقد عين مرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي كلًّا من "حسن نصر الله" الأمين العام للحزب والشيخ "محمد يزبك" عضو شورى حزب الله والمدرس في حوزة الإمام المنتظر في بعلبك وكيلَيْنِ شرعيين

(١) شريفة عباس، دراسة المشروع الإيرانى الصفوى فى المنطقة العربية (دمشق: رابطة العلماء السوريين، ٢٠١٩)، ص ٤١.

لمرشد الثورة الإسلامية في لبنان، وهناك عشرات الخطابات للأمين العام للحزب "حسن نصر الله" يقر فيها بأنه جندي صغير في جيش ولاية الفقيه علي خامنئي، ومن أهمها قوله: "**إن رواتب حزب الله وصواريخه ومصروفاته كلها مصدرها الجمهورية الإسلامية، وما دام هناك أموال في إيران فنحن عندنا أموال**"(١).

ثانياً: ميليشيا الحوثي

تأسست الميليشيا تحت اسم "جماعة أنصار الله" عام ١٩٩٢، وبدأت نشاطًا عسكريًّا مسلحًا منذ عام ٢٠٠٤ بالدخول في ستة حروب ضد الجيش اليمني حتى عام ٢٠١٠؛ ووجدت إيران في الحوثيين منذ زمن بعيد أداة قوية لتنفيذ مشروعها في اليمن، فأمدتهم بالسلاح حتى استطاعوا استغلال الوضع الأمني الهش عام ٢٠١٤م، وانقلبوا على السلطة الشرعية المنتخبة لتدخل البلاد في دوامة من العنف.

ثالثاً: الميلشيات الشيعية في العراق

يأتي على رأسها قوات الدفاع الشعبي وعصائب أهل الحق وسرايا السلام وكتائب بدر، وقد شاركت جميعها في الحرب بسورية، و"الدفاع الشعبي" هي البذرة التي خرجت من نواة كتائب حزب الله، وتنتشر الآن في مدينتي بغداد وديالَى، وتعتمد عليها الحكومة العراقية اعتمادًا كبيرًا؛ أمَّا "عصائب أهل الحق" فهي الوكيل الرسمي لتصدير الإرهاب الإيراني إلى العراق، وهي التي أعلن زعيمها الشيخ قيس الخزعلي الانفصال عن رجل الدين الشيعي البارز مقتدى الصدر؛ وأما "سرايا السلام" فهي التي تتبع رجل الدين الشيعي مقتدى الصدر، وتُسمَّى الآن بالتيار الصدري، وتنتشر في جميع أنحاء العراق بدءًا من مدينة سامراء إلى قرية آمرلي، وصولًا إلى مدينة جرف الصخر وديالَى في الشرق، وأمَّا "منظمة بدر" فهي جماعة مسلحة تحظى بدعم طهران لتطوير الميليشيات الشيعية، وتشارك في القتال بسورية حيث أسست قوة "الشهيد باقر الصدر"، وتتجه الحكومة العراقية إلى دمج هذه المليشيات داخل الجيش العراقي ليصبح وجود هذه الأذرع رسميًّا في الحكومة العراقية(٢).

رابعاً: الميليشيات الشيعية في سورية:

سيتم الحديث عنها ضمن توصيف المشروع الإيراني في سوريا.

---

(١) حسام السعد، طلال المصطفى، "مؤسسات النفوذ الإيرانى فى سورية"، وحدة الدراسات الإجتماعية بمركز حرمون للدراسات المعاصرة (دمشق: مركز حرمون للدراسات المعاصرة، ٢٠١٨)، ص ١٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣.

المبحث الثالث:
العلاقات الإيرانية بالدول العربية

شهدات العلاقات الإيرانية بعدد من الدول العربية ولا تزال تشهد مراحل من التطور ومراحل أخرى من التراجع، بعضها يؤكد وجود مصالح وتدخل مباشر، وبعضها الآخر ينذر بتوتر ومظاهر من الأختلاف في التوجهات تصل إلى الصراع، ويتضمن هذا المبحث تناول لأبرز سمات علاقات إيران ببعض الدول العربية بشكل يكشف عن ملامح المشروع الإيراني بالمنطقة.

المطلب الأول: العلاقات الإيرانية-السورية

يُعد الوصول إلى مياه المتوسط حلمًا تاريخيًا كبيرًا يشغل القيادة الإيرانية منذ عصور، ولم يتبدل هذا الهدف حتى في ظل حكم الولي الفقيه الإيراني، ولتحقيق هذا الحلم ابتدعت إيران وسائل استراتيجية خطيرة، فلم يتوقف المشروع الإيراني في سورية على التدخل العسكري ضد الثورة السورية دعمًا لنظام الأسد بل امتد الأمر إلى التغلغل الإيراني في مؤسسات الدولة والجيش والمخابرات والسيطرة على الاقتصاد، هذا إضافة إلى مشاريع ثقافية وفتح مراكز التشييع في بعض المحافظات السورية، وقد بلغ حجم ما ضخته إيران في سورية من أموال في سبيل مشروعها (٤٠) مليار دولار تقريبًا.

يؤكد قائد الحرس الثوري الإيراني "محمد علي جعفري" أن :" هناك نحو (٢٠٠) ألف مقاتل يرتبطون بالحرس الثوري في عدة دول بالمنطقة منها سورية؛ وذلك للتعبير عن خطة لتعزيز الوجود الإيراني في مناطق مختلفة من سورية أبرزها منطقة الفرات ومدينة البوكمال ودير الزور شرقًا، وحلب والغوطة الشرقية بدمشق، ومحافظتي درعا والسويداء، وتتضمن خطة الانتشار الإيرانية الجديدة في سورية عدة محاور أبرزها:

أ- بسط السيطرة على ميناء اللاذقية، الذي سيشكل مصبًا للطريق البرية الواصلة بين إيران وسورية عبر العراق.

ب- إنشاء وحدة قوات خاصة في الجولان، فتولى "حزب الله" تشكيل نواة تلك القوة وتزويدها بالقدرات اللازمة وامتلاكها أدوات التصعيد والتهدئة مع إسرائيل.

ج- بسط السيطرة على مطار دمشق الدولي بحيث تسيطر إيران على أهم منفذ بحري وجوي في سورية.

د- الهيمنة على قاعدة "الناصرية" الجوية الواقعة على مسافة (١٠) كم إلى الشمال الشرقي من مدينة "جيرود" في منطقة القلمون الشرقي لاستخدامها في أغراض عسكرية سرية تخص صناعة الصواريخ.

هـ- الاستحواذ على حصة من موارد سورية النفطية، فقد أكد يحيى رحيم صفوي المستشار العسكري لعلي خامنئي أن سورية مستعدة لسداد ديونها لإيران من مواردها النفطية والغازية والفوسفات.

ز- نصب منصات صاروخية في المناطق الحدودية بين سورية والعراق، وتحدثت مصادر إيرانية عن تزويد الميلشيات العراقية بقدرات صاروخية لردع الهجمات التي يمكن أن تستهدف مصالحها.

ح- السيطرة على المعابر الحدودية بين سورية والعراق بنشر ميلشيات الحشد الشعبي عليها.

ط- إنشاء ضاحية "شيعية" في دمشق على شاكلة بيروت، وتم الكشف عن شراء الحكومة الإيرانية مساحات كبيرة من الأراضي والمباني حول العاصمة السورية لتنفيذ مشروع إسكان "شيعي" ضخم بات يعرف "بحزام دمشق".

ى- تعزيز التبادل التجاري مع سورية، وذلك من خلال إنجاز (١٨)اتفاقية تعاون ثنائي قيد العمل في مختلف المجالات التجارية، وتتضمن إدراج (٨٨) مجموعة سلعية ضمن قائمة التبادل التجاري بين إيران وحكومة النظام وتصفير التسعيرة التجارية بين سورية وإيران.[١]

ك- تغيير الهوية الثقافية للمجتمع السوري من خلال فتح عشرات مراكز التشييع وشراء ولاءات زعماء العشائر وبعض الوجوه الاجتماعية، ولتحقيق ذلك بدأت إيران توظف المقامات الشيعية في سورية كمقام عمار بن ياسر والسيدة سكينة ومشهد الحسين...، ومؤسسات التعليم الثانوي والعالي الشيعي الشرعي، والحسينيات، والحوزات العلمية المنتشرة حديثًا في سورية، وكذلك الجمعيات الخيرية والهيئات الشيعية[٢].

(١) التقرير الاستراتيجى السورى، العدد رقم (٦٦)، شئون أمنية، الصادر فى ٢١ مارس ٢٠١٩.

(٢) حسام السعد، طلال المصطفى، مرجع سبق ذكره، ص ٢١.

المطلب الثاني: العلاقات الإيرانية-اليمنية

تعد إيران إحدى دول الجوار للوطن العربى من جهته الشرقية، وترتبط معه بعلاقات قديمة تراوحت بين التعاون تارة والصراع تارة أخرى. فى البداية كانت إيران تمثل المصالح الغربية فى المنطقة، وذلك فى فترة ماقبل الثورة الإسلامية ولكن بعد الثورة برزت إيران كفاعل إقليمى ودولى صاعد يتحرك على كافة المستويات سواء الإقليمية أو الدولية فأصبحت ذات سياسية خارجية مستقلة وتحولت من دولة تحقق مصالح الدول الغربية إلى دولة منافسة لهم فى المنطقة؛ حيث مثلت الثورة مرتكزًا مهما فى رؤية إيران لغيرها من الدول فبدأت تتحرك للمحافظة على مكتسبات الثورة الإسلامية والسعى نحو نشرها وتحقيق أهدافها وذلك من خلال سياسية خارجية نشطة.

إن الأطماع الإيرانية فى المنطقة العربية تعود إلى بداية القرن السابع عشر عند محاولتهم احتلال البحرين ثم انسحابهم منها بعد التفاهم الإنجليزى الإيرانى. وعند النظر إلى طبيعة العلاقات الإيرانية العربية نجد أنها علاقات متقلبة، ذلك على حسب الرئيس فتصل الى التوتر عند وصول رئيس متشدد الى الحكم وزيادة نفوذ المحافظين فى النظام السياسى الإيرانى والاستمرار فى البرنامج النووى، وقد زاد القلق الدولى من النفوذ الإيرانى فى المنطقة عندما أكدت ايران بأن الأيديولوجية السياسية التى اعتمدها الإمام الخمينى الأساس فى التوجة السياسى والإجتماعى وأن هذه الإيديولوجية سوف تبقى حية فى الفكر الإيرانى(١).

ارتبطت إيران بمجموعة من المصالح المركبة والمعقدة المنتشرة فى المنطقة العربية عامة ودول الخليج خاصة بدءًا من الإمارات، التى تعتبر الشريك التجارى الأكبر لإيران، والتي تمتلك جالية كبيرة تعمل بداخلها، فضلاً عن عدد كبير من الشركات الإيرانية، مرورًا بالعراق التي تراوحت العلاقات معها بين الصراع والتقارب وإن غلب عليها طابع الصراع فى أغلب الأوقات،وكذلك الحال مع دول مثل السعودية وسوريا ولبنان واليمن.

إن اليمن مثلها مثل أى دولة عربية أخرى قامت فيها ثورة، وقد بدأت هذه الثورة فى ١١ فبراير ٢٠١١بخروج الشباب الثائر إلى الساحات مطالباً برحيل رئيس البلاد "على عبدالله صالح"،وذلك على غرار ماحدث فى مصر وتونس، ولكن الاختلاف هنا يكمن فى أن تلك الثورتين لم يستمرا طويلاً وسرعان ماتحقق مطلبهما، أما اليمن فمنذ ذلك الوقت دخلت فى مرحلة انتظار طويلة لم تخرج منها حتى الآن، وتحولت من مجرد ثورة على الحاكم وعلى الفساد والفقر إلى صراعات

(١) خالد جويعد ارتيمة العبادى، تأثير النفوذ الإيرانى على الدول العربية سوريا ولبنان(١٩٧٩ – ٢٠٠٧)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، (الأردن : جامعة مؤته، ٢٠٠٨)، ص١.

وحروب أدت إلى تدميرالبلاد أكثر مماكانت عليه، بل إنها جعلت البلاد على وشك الانفصال والتقسيم.

أولاً: عوامل تدخل إيران فى اليمن

لمعرفة تطورات وأهداف التدخل الإيرانى فى اليمن لابد لنا من معرفة العوامل التى ساعدت طهران على ذلك التدخل؛ حيث إنه يوجد فى الحقيقة عدة عوامل داخلية وخارجية سهلت على إيران تواجدها فى اليمن بل وشجعت عليه، هذا فضلاً عن تمزق العرب وانصراف كل منهم إلى مصالحه وشؤونه الخاصة وإهمالهم للأمن القومى العربى.

١. الحركة الحوثية

نشأت هذه الحركة فى عام ١٩٨٦ فى محافظة صعدة بشمال اليمن. كانت فى البداية عبارة عن حركة فكرية أطلق عليها "اتحاد الشباب"، وكان هدفها تعليم شباب المحافظة المذهب الزيدى الصحيح، ومع بداية الحرب مع الحكومة اليمنية تحولت الى حركة سياسية وعسكرية، اعتمدت الحركة على المذهب الزيدى الشيعى أقرب مذاهب الشيعة إلى السنة، وأكثرها انفتاحًا على المذاهب الإسلامية، كما أنه مذهب الغالبية فى شمال اليمن وإليه ينتمى الرئيس السابق "على عبدالله صالح"[(١)]؛ حيث اتخذته كمرجعية أساسية لها، وسعت ليكون أساس الحكم تتمثل بدايات الأزمة السياسة بين الحوثيين والحكومة عند إعلان " حسين بدر الحوثى " قائد الحركة خروجه عن نظام الجهورية استنادًا إلى أن الحكومة جاءت للحكم من خلال انقلاب عسكرى أطاح بحكم الإمام الذى كان يتبع المذهب الزيدى،فكان يريد تطبيق نظام الإمامة على الحكم. ونتيجة لهذا جاء رد الحكومة اليمنية بتوجيه اتهامات متعددة للحركة منها(التحريض على العنف– سعيها لإنشاء جماعة مسلحة– الحصول على الدعم من إيران وحزب الله– نشر المذهب الشيعى). وبداية من عام ٢٠٠٤ وحتى الآن اشتدت الأزمة وتحولت إلى صراع مباشر[(٢)].

ومنذ انطلاق الشرارة الأولى للصراع المباشر دارت معارك عنيفة بين قوات الجيش اليمنى وقوات "الحوثى" وأسفر هذا الصراع عن عدد كبير من القتلى والذى كان من بينهم "حسين بدر الحوثى"، وعلى أثر هذا قدم الرئيس اليمنى مبادرة تقضى بإبرام صفقة تقوم على منح عناصر

(1) Barak Salmoni, "Yemen's Forever War:The Houthi Rebellion", the Washington institute,
www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/yemens-forever-war-the-houthi-rebellion, 12-4-2016.

(٢) اليمن نزع فتيل الأزمه فى صعدة، تقرير الشرق الأوسط رقم ٨٦، ٢٧ مايو ٢٠٠٩.

الميليشيا عفواً عامًا مقابل إلقائهم السلاح والاستسلام، ولكن الحوثيين رفضوا هذه المبادرة وعقدوا اتفاقًا أخر بينهم ولكنهم سرعان مانقضوه وعاد الصراع من جديد، وتم التوصل الى اتفاق بوساطة قطر لوقف العمليات المسلحة بين الطرفين فيما عرف "باتفاق الدوحة" والذى تضمن عدداً من الخطوات والإجراءات المتبادلة التى تعمل على تهدئة التوتر والصراع وتهيئة الأجواء لتحسين العلاقة بين الطرفين، غير أنه سرعان ماانهار هذا الاتفاق لتجدد الصراعات من جديد والذى مازال مستمرا(١).

ترتبط هذه الحركة بإيران منذ سنوات نشأتها الأولى، كما أنها تعتبر كيانًا رئيسيًا يعمل على تحقيق وخدمة الأهداف والمطامع الإيرانية فى المنطقة؛ حيث إن هناك دراسات أثبتت أن تلك الحركة انقلبت على الزيدية وتعاليمها وتحولت إلى طائفة شيعية اثنى عشرية وذلك لأسباب وطموحات خاصة. كما أن " بدر الدين الحوثى" قد سافر إلى طهران وأقام بها عدة سنوات فتأثر بالمذهب الشيعى ولأفكار الخمينية والنموذج الإيرانى فى الحكم، بل أنه أمن بصلاحية تطبيق هذا النموذج فى اليمن. فضلاعن الادعاءات المتكررة بدعم إيران للحركة ماديا وسياسا وعسكريا بهدف خلق حالة من التوتر والقلق والتمرد، وهذا ماكانت دائما تنفيه إيران، ولكنه الآن أصبح واضحًا للجميع(٢).

٢. الربيع العربى

عندما قامت ثورات الربيع العربى رأت إيران أن ذلك فى مصلحتها، وأنها فرصة للتدخل فى شئون دول المنطقة والتأثير عليها من خلال تأييد المظاهرات والاحتجاجات والتعاطف مع الشعوب الثورية، بل إنها رأت أن تلك الثورات امتداداً للثورة الإسلامية الإيرانية. ولكن الحظ لم يحالف إيران فى الدخول فى زمام الأحداث سواء فى مصر أو تونس، لذلك حولت أنظارها إلى اليمن لتجد فيها الساحة مفتوحة لأطماعها عن طريق الحركة الحوثية(٣).

---

(١) سامح راشد، "الولة والحوثيون فى اليمن .. قراءة فى جوهر الصراع"، مجلة السياسة الدولية (القاهرة: مركز الأهرام للدراسات الاستراتيجية، العدد ١٧٨، أكتوبر ٢٠٠٩)، ص ١٥٥.

(٢) سالى عبد المعز، "الحوثيون فى اليمن: مخاوف من نشوب حرب جديدة"،مجلة السياسة الدولية (العدد ١٧٧، سبتمبر ٢٠٠٩)، ص ٨٦.

(٣) عبد الله المدنى، "التدخل الإيرانى فى اليمن ومألات الأزمة اليمنية"، آراء سياسية (الرياض: العربية، ٤ ديسمبر ٢٠١٥)، ص ١٦.

٣. دور "على عبدالله صالح"

تعتبر شخصية الرئيس "على عبدالله صالح" من أذكى الشخصيات السياسية، ولكنها شخصية انتهازية ومراوغة ومخادغة ومتغيرة حسب الظروف، بل إنها مستعدة لعمل أى شئ من أجل مصالحها ونفوذها حتى وإن كان ذلك على حساب بلدها وشعبها.وعرف "عبدالله صالح" بعدائه وكراهيته للسعودية بالرغم من أفضال السعودية عليه وعلى بلده، ولكنها كانت دائمًا فى نظره تتدخل فى الشئون الداخلية لبلاده عبر شراء الولاءات القبلية وبالتالى كانت كل هذه الأسباب تعتبر فى صالح إيران سواء من حيث السيطرة على اليمن أو من حيث محاولة قلق السعودية، ولذلك قامت بمحاولة إيجاد تعاون بين عبدالله صالح وبين الحوثيين الذين كانو اعداء له فى السابق، وقد بذلت إيران قصارى جهدها لإنجاح هذا الاتفاق والتعاون من خلال اقناع الحوثيين بالتعاون على أساس أنه مازال يمتلك قوة ونفوذ داخل مؤسسات الدولة وخاصة العسكرية. وهذا كله ينصب فى مصلحة إيران لتحقيق هيمنتها على اليمن ودول المنطقة(١).

٤. الوضع الجغرافى والديمغرافى والإجتماعى لليمن:

فبالنسبة للوضع الجغرافى تتميز اليمن بالطبيعة الجبلية غير الممهدة والتى تصلح لحروب العصابات؛ حيث يكون من الصعب ضبط أى من تلك العناصرفهم يستخدمون الجبال والكهوف وغيرها كمخابئ لهم، وهذ الوضع سهل على الحوثيين مهمتهم فى إثارة القلق ومحاربة الحكومة. أما الوضع الديمغرافى والاجتماعى، فالشعب اليمنى مازال شعبًا قبائليًا تسوده الأمية وينتشر فيه الفقر بنسبة كبيرة، وتتجذر فيه تقاليد الحرب وحمل الأسلحة،كماأنه يسهل فيه شراء الولاءات القبلية عبر المال. وهذا الأمر سهل على الإيرانيين كثيرا فى التغلغل داخل اليمن وكسب الحوثيين إلى صفهم وجعلهم ذراع وكيان أساسى لهم داخل اليمن مسئول عن تنفيذ مخططهم وأهدافهم(٢).

٥. الوضع الداخلى المضطرب

فالوضع الداخلى فى اليمن غير مستقر بالأساس؛ حيث لاتوجد حكومة مركزية قوية قادرة على السيطرة على كافة أرجاء البلاد، فضلًا عن الفوضى الأمنية بسبب عمليات تنظيم القاعدة

---

(١)المرجع السابق، ١٧.

(٢) شاكر أحمد شاكر، "الحوثية والحراك والقاعدة ... مثلث قوس الأزمات اليمنية وتداعياته الخارجية"،الجريدة (الكويت:الجريدة، العدد ٣٩٦٤، السنة ١٢، ٢٢ نوفمبر ٢٠١٨)، ص ١٩.

والحوثيين، وكذلك حالة الفقر والبطالة وفساد الطبقة الحاكمة التى تغرق فيها اليمن. ومن ثم كانت اليمن تربة خصبة لإيران لخلق قاعدة قوية بداخلها معتمدة على نفوذها وأعوانها[١].

٦. الوضع الدولى

كانت لإيران ممارسات عديدة فى المنطقة تستحق عليها العقاب،مثلما فعلت فى لبنان وتزويد حزب الله بالأسلحة والأموال، أو مافعلته فى العراق فى أعقاب الإطاحة بنظام صدام حسين، فضلاً عن تدخلها فى سوريا ودعم نظام بشار وإمداده بالأسلحة،ناهيكعن أعمالها الإرهابية فى العالم. كل هذه الممارسات، ولم تجد إيران رادعاً لها بسبب انشغال القوى العظمى بمصالحها، وأيضًا بسبب عودة التنافس الأمريكى– الروسى، فتشجعت إيران على المضى قدمًا ومواصلة السعي لتحقيق أطماعها وأهدافها، مما ضمن لها حرية التدخل فى اليمن دون مواجهة أي معارضة، بالرغم من أن الولايات المتحدة تعمل على ضرب التنظيمات الإرهابية، لاسيما التي تمس مصالح أمريكا وترفع شعار الموت لأمريكا ألا وهم الحوثيين. وهكذا دخل الإيرانيون إلى اليمن بسهولة تامة تحت شعار دعم الحوثيين[٢].

ثانياً: الأهداف الإيرانية فى اليمن

تختلف أهداف إيران عن أهدافها فى سوريا، ففى سوريا هى أهداف مباشرة وواضحة أما فى اليمن فهى أهداف ومصالح ضمنية تحققها من خلال جماعة معينة تقوم هى بدعمها.وتتعدد تلك الأهداف وتظهر من خلال **الأتى:**

١.سعي إيران إلى الزعامة وإعادة الدولة الفارسية (الإمبراطورية الساسانية)

ويعدونه انتصارًا للقومية الفارسية على القومية العربية، فهم يعتقدون– أي الساسة الإيرانيين– أن الفتح الإسلامي لـ(بلاد فارس) أعطى الرعاة العرب الذين كانوا يتسولون من كسرى المجد عليهم، ويجب أن يعودوا إلى تلك الحقبة متهمين العرب أنهم نشروا الإسلام بالقوة. لذلك أظهر محمد جواد لاريجاني –رئيس جمعية الفيزياء والرياضيات في إيران– نظرية باعتبار إيران "أم القرى". ولعل استعارة مصطلح أم القرى يحتوي دلالة دينية وسياسية: دينية مرتبطة باعتبار أن مكة هي أم القرى للمسلمين، وأن الدعوة ظهرت فيها، وأن الكعبة المشرفة هناك، وأما البعد السياسي فيتعلق بتقديم إيران ما بعد الثورة باعتبارها النموذج الأصلح للأخذ به في العالم الإسلامي، فالفكرة تبدو قريبة من الفكرة الرأسمالية الغربية التي تقسّم العالم إلى مركز ومحيط،

(١)لمرجع السابق، ص ٢١.

(٢) عبد الله المدنى،مرجع سبق ذكره، ص ١٨.

فإيران تقدم نفسها سياسيًا كمركز والعالم الإسلامي أشبه بالمحيط الذي يجب أن "ينهل" من تجربة إيران بعد الثورة الإسلامية في العام ١٩٧٩[١].

٢. البحث عن حليف جديد فى المنطقة

بعدما فرضت إيران سيطرتها وتمكنت من التدخل فى العراق وسوريا ولبنان والبحرين أخذت تبحث لها عن حليف آخر، حتى توطد نفوذها فى المنطقة وتعلى من مكانة المذهب الشيعى وتزيد من انتشاره حتى تحققق انتصاراً لأيدلوجية ثورتها وإعمالا لمبدأ تصدير الثوره، وكان هذا الحليف الجديد هو "اليمن" والذى يمثل لإيران عاملاً مهماً، حيث الانطلاق من اليمن بسهولة ويسر إلى مد نفوذها إلى دول عربية أخرى مثل الصومال وجيبوتى والسودان.

٣. تحسين موقفها التفاوضى مع الغرب

كما أنها تسعى الى إمتلاك ورقة ضغط جديدة تضاف إلى أوراقها الأخرى، حتى تمنحها قوه تفاوضية فى مواجهة الجهات والقوى التى تسعى لتقليص نفوذها الأقليمى أو السير قدما فى برنامجها النووى،وهو ما يفسر ربطها لأي اتفاق نووي بنفوذها السياسي في منطقة الخليج. فيما تسعى القوى الدولية لفصل الملف النووي الإيراني عن أية ملفات أخرى لما تدركه هذه القوى من امتلاك إيران لمفاتيح الحل في أكثر من قضية في الشرق الأوسط[٢].

٤. السيطرة على بعض الأماكن الإستراتيجية

إيران كان لديها مخطط للسيطرة على الممرات البحرية والتجارية الإستراتيجية والتحكم فيها لأغراض تخدم مصالحها، ومنها مضيق باب المندب والذى يعد شريانًا للملاحة والتجارة الدولية، وهو ما يشكل تهديدًا كبيراً للأمن القومى العربى.

٥. إقلاق السعودية وتضييق الخناق عليها

تسعى إيران إلى محاولة إقلاق وإزعاج المملكة العربية السعودية وتضييق الخناق عليها، خصوصًا وأن السعودية هي المتصدية الكبرى للمخططات الإيرانية في المنطقة؛ بدليل ما فعلته في البحرين حينما أفشلت ما أطلق عليه "ثورة الدوار" في يناير ٢٠١١ بقيادة إحدى الجمعيات الطائفية الموالية للولي الفقيه الإيراني، ومساندة من الجمعيات القومية والماركسية والبعثية من

---

(١) محجوب الزويرى، "أثر بالغ للدور الإيرانى فى تمكين سيطرة الحوثيين باليمن"،جريدة الوطن (القاهرة : جريدة الوطن، ٧ أبريل ٢٠٢١)، ص ٦.

(٢) أحمد أمين الشجاع، "التدخل الإيرانى فى اليمن.. حقائقه وأهدافه ووسائله"،مجلة البيان (الرياض : مجلة البيان، العدد ٣٠٣، ٧ يناير ٢٠١٣)، ص ٣.

تلك التي باعت وطنها وكل تاريخها ومبادئها بثمن بخس،فضلا عما فعلته الرياض في مصر من خلال دعم نظام الرئيس عبدالفتاح السيسي في مواجهة مخططات الإخوان المسلمين الذين اعتبرهم الأيرانين نجاحًا لثورتهم الإسلامية وركيزة لإنطلاق مخططاتهم فى المنطقة العربية(١).

٦. تعويض بعض خسائرها

تحاول إيران تعويض الخسائر التى لحقت بها نتيجة ثورات الربيع العربي، وإذا كانت تدافع بشدة عن النظام السوري وتدعمه بكل الطرق الممكنة حتى لا تخسر حليفاً استراتيجيا وخصوصا مع تزايد مؤشرات انهيار النظام السورى. لذلك فإن ما تقوم به في اليمن يمثل انعكاساً لهذا القلق والخوف، ولذلك كان على إيران أن تبحث عن مناطق نفوذ جديدة في العالم العربي تعوض بها الخسائر الكبيرة المحتملة التي ستلحق بها من جراء سقوط النظام السوري، سواء في سوريا ذاتها أو بين الجماعات المرتبطة بالنظام السوري في لبنان والعديد من الدول العربية الأخرى(٢).

٧. انفصال الجنوب اليمنى

إن إيران تريد تحقيق مكسب إستراتيجى كبير من خلال انفصال الجنوب اليمنى وتحويله إلى حليف لها، وهذا يرجع بنا للسبب الأول وهو البحث عن حليف جديد فى المنطقة، وفي هذا يقول بروس ريدل مدير مشروع الاستخبارات في بروكينغز:" **إن تحقق انفصال جنوب اليمن ليصبح حليفاً للإيرانيين فإنه سيكون مكسباً استراتيجياً لطهران قد تعوض عن خسارة سوريا في حال سقوط الأسد.**" فهم يعدّون للتحكم- بأقل تقدير- على مضيق باب المندب، ويخشى أن تستخدم إيران حلفائها العسكريين على طول باب المندب لتعطيل الشحن هناك، كما حاولت أن تفعل على طول ساحلها خاصة على مضيق هرمز. إن مضيق هرمز وباب المندب هي قنوات لـ (٢٢٪) من إمدادات النفط في العالم ، وفقًا لإدارة معلومات الطاقة الأمريكية، ومن ثم فإنه حال سيطرة إيران عليهايصبح بمقدورها خنق الاقتصاد العالمي إذا جاز التعبير(٣).

ثالثاً: تحركات إيران فى اليمن

استخدمت إيران عدة وسائل للتحرك فى اليمن حتى تستطيع إخضاعها تحت سيطرتها، ومن هذه الوسائل:

---

(١) مرنا وليد محمد نصار، "المذهبية فى السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الشرق الأوسط ٢٠٠٣ – ٢٠١٥"، المركز الديمقراطي العربي (القاهرة: المركز الديمقراطى العربى ، ٢٠١٦)، ص ص ٢١-٤٦.

(٢) المرجع السابق، ص ص٤- ٦.

(٣) رشا عمار، مرجع سبق ذكره، ص ١٣.

١. إرسال السلاح

كانت إيران هى الداعم الأول للحوثيين فقد قدمت عشرات الشحنات من الأسلحة، وقد تم ضبط عدد من هذه الشحنات إلا أن طهران عملت على تهريب الأسلحة عبر سفن مهربة الى جزر تتبع إريتريا، ثم يتم نقل هذه الأسلحة عبر قوارب صيد على شحنات صغيرة إلى الأراضى اليمنية ويتم تسليمها إلى الحوثيين(١).

٢. التخابر

جندت إيران العديد من اليمنين للعمل فى صالحها، ففى ٢٠١٣ قضت محكمة يمنية بحبس شخصين يمينين خمس سنوات بتهمة التخابر مع طهران، كما وجهت المحكمة للمتهمين أيضًا اتهامات بالتواصل مع عاملين بالسفارة الإيرانية بصنعاء. فالتخابر مع إيران ليس محصورًا فقط فى خلايا التجسس وتجنيد اليمنين، بل إن هناك أدوات لإيران تقوم بهذا الدور مثل(الحوثيين– الأحزاب الممولة– الناشطين)، وكل هذا جعل علاقات إيران الداخلية والخارجية مكشوفة للإيرانين(٢).

٣. التدريب

تشير تقارير المخابرات الغربية إلى أن إيران تقوم بتدريب المسلحين الذين ينتمون للحراك الانفصالي والحوثيين، في حين أن وكيل إيران اللبناني(حزب الله)، يوفر بعض التمويل والتدريب الإعلامي للمجموعات المسلحة بالإضافة للتدريب العسكري اللازم(٣). ويتم ذلك عن طريق:

- استقطاب المئات من المجموعات الانفصالية المسلحة والحوثيين للتدريب في إيران وحزب الله في الجنوب اللبناني بلا تأشيرات دخول عبر سوريا، بالإضافة إلى أن هناك تواطؤًا من مسئولين يمنيين مع هذا الاستقطاب، ويتدرب في إيران المئات من المسلحين على عدة

---

(١) مصادر سياسية ودبلوماسية كشفت أن لدى اليمن وثائق ومستندات تثبت تورط طهران في تهريب تلك الأسلحة وتدريب ميليشيات حوثية في جزر اريتريا ،الشرق الأوسط (٢٠١٣/١/٢١)

http://2u.pw/SOOsN.

(٢) وكالة أنباء الأناضول:" السجن ٥ سنوات ليمنيين اثنين لإدانتهما بالتخابر مع إيران" ٢٠١٣/٣/٢٥

www.aa.com.tr/ar/rss/147241

(3) The Wall Street Journal,/ 30/1/2013 / Fears Grow Over Yemenis' Ties to Iran, By:Maria Abi-Habib.

عمليات: "صناعة المتفجرات، والعبوات الناسفة، الاغتيالات، قتال الشوارع، استخدام كل أنواع الأسلحة"– فالكثير من شباب الحراك الجنوبي يغادرون اليمن بهدوء للتدرب في إيران[١].

وتعرض إيران على شباب الحراك استعادة الدولة مقابل الاستثمار في البنية التحتية. وقد اعترف أمين عام الحراك الجنوبي قاسم عسكر بذهاب المئات إلى إيران للتدرب، وكذلك اعترفت قيادات حوثية بتدريبات في جنوب لبنان وإيران، وبعناصر من حزب الله اللبناني كانوا في اليمن طيلة الحروب السابقة. وحتى اللحظة[٢].

- مع انطلاق الثورة السورية صعب على طهران وحزب الله نقل المسلحين الحوثيين والحراكيين على حد سواء للتدرب في البلدين، فاستعانت بالأراضي الاريترية، وتتمركز مناطق التدريب على الجزر (جزيرة دهلك وما جاورها) وعلى ثلاث مناطق "مرسى بريطي"، مرسى "حسمت"، منطقةٌ تعرف باسم "متر"، وكشف بشير إسحاق مسؤول العلاقات الخارجية في التحالف الاريتري المعارض في ٢٠٠٩م عن وجود معسكر تدريب آخر, في منطقة دنقللو (شرق مدينة قندع وسط أريتريا) [٣] .

٤. إنشاء الأحزاب

فى ظل حالة الديمقراطية الى نشأت بعد الثورة عملت إيران على دعم أحزاب سياسة وإنشاء أخرى، وقامت بتنفيذ زيارات الى مدن إيرانية لمئات من الشباب اليمنى بعدة لافتات قافية ودينة وسياسة. كما اتجهت إلى استخدام الإعلام، وذلك من خلال إنشاء ثلاث قنوات يمنية عام ٢٠١٢ ونشرت قرابة عشر صحف ومولت إصدار صحيفتين يوميتين، فضلاً عن العديد من المواقع الإلكترونية. ولتنفيذ هذا المخطط عمدت إلى الصحفين وقامت بتدريبهم، كما أنها ركزت على اليسارين وممن يتبعون حزب الرئيس المخلوع، بالإضافة إلى السيطرة على ثلاثين قيادياً

(1) Interview with activist belongs to a group of Hirak gunmen who were calling for the south of Yemen to be allowed to secede from the north for half a decade. Based in the port of Aden poor. The Guardian/10/5/2012.

(2) OP: The Wall Street Journal,/ 30/1/2013

(٣) وتُطل تلك المواقع على معابر تعتبر رئيسيةً في عمليات تهريب "البشر والسلاح" من إريتريا إلى اليمن، مثل مرسى "برعصوليا"، ومنطقة ساحلية تعرف باسم "خور حمار"، ومرسى "طيعو"، يتم توظيفها كشريانٍ رئيسي لتغذية العناصر الخارجة عن القانون، وتأتي جماعة عبد الملك الحوثي على رأسها، (السعودية : الوطن أونلاين، ٢٠١٣/١٢/١٦). http://2u.pw/V56xT.

برلمانياُ وسياسياً فى مختلف الأحزاب والتكتلات السياسية (غير الحوثن)، وهم من ينسق فى الداخل أنشطة ما يطلق عليه "حركة إنهاء الوصاية الخارجية على اليمن"(١).

إذن تسعى إيران من خلال تحركاتها فى اليمن إلى تحقيق جملة من الأهداف والمصالح التي تتبلور في:

١. عرقلة المبادرة الخليجية والآلية التنفيذية ورفض مخرجات الحوار الوطني والانقلاب عليها، لأن تحقيق تلك المخرجات سيمثل إفشالاً للمشروع الإيراني في اليمن ويحبط الأهداف المرسومة، لذلك تسارع أذرع إيران على نشوب الحروب والزحف نحو العاصمة، وقتل العسكريين والأمنيين.

٢. تعميق الفرز المجتمعي بين موال للسلفية ومناصر للحوثية، وبهذا الفرز يحدث الخلاف الطائفي في الشمال، وتمعن في ارتكاب الفرز المناطقي في الجنوب بالإضافة للنزعة الانقسامية من أجل إحكام السيطرة على دولة ضعيفة لا تستطيع توفير الأمن ويوفره أذرعها العسكرية بعد السيطرة عليها.

٣. الدفع من خلال الإعلام الذي مولته بالسياسيين والجماعات التي تعمل لصالحها للسيطرة على مفاصل الدولة وأجزاء كبيرة من الحكومة، نتيجة فرض أمر واقع بقوة السلاح والإعلام، في ظل تشرذم القوى الوطنية واستفحال الصمت الحكومي وتعمق الشرخ المجتمعي والسيطرة على مناطق البلاد.

المطلب الثالث: العلاقات الإيرانية اللبنانية

يشهد الدور الإيراني في منطقة الشرق الأوسط تطورًا ملحوظًا منذ اندلاع الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩؛ حيث سعت طهران بعد هذا التاريخ إلى تصدير نموذجها الثوري إلى الدول المجاورة. وقد وجدت غايتها في الأقليات الشيعية في الدول العربية، ووسعت وطورت نفوذها في هذه الدول من خلالهم. ولعل من أبرز الأمثلة في هذا الصدد حالة "حزب الله" في الدولة اللبنانية، والذي يشكل أحد الأذرع العسكرية لإيران في المنطقة العربية، وقد ترسخت تلك العلاقة وتسارعت وتيرة تطورها في السنوات الأخيرة، خاصة في ظل الحالة الحرجة التي تمر بها المنطقة، والتنافس القوي بين طهران والرياض على مناطق النفوذ والتأثير. وقد كان لهذا بالطبع عدد من التداعيات على الداخل اللبناني تمثلت في حالة من عدم الاستقرار والتخبط السياسي نتيجة لتعدد الولاءات،

(١) صحيفة الشرق السعودية (٢٠١٢/١/٢٨). http://2u.pw/01Ruj

كما تبنت الثورة الإيرانية شعارًا يسمى "الصرخة"، هو (الله أكبر... الموت لأمريكا... الموت لإسرائيل... اللعنة على اليهود ...النصر للإسلام)، من أجل استقطاب تعاطف الشعوب العربية في المنطقة(١).

إن علاقات إيران ولبنان بتعددها وتأرجح حالاتها تمتد جذورها نحو ما قبل الثورة الإسلامية الإيرانية، فلطالما أعربت إيران عن دعمها للبنان، وذلك منذ فترة الاجتياح الإسرائيلي للأراضي اللبنانية عام ١٩٨٣، وما تلا ذلك من أحداث جِسام بالتناوب بين البلدين، كما أن سجل الزيارات المتبادلة بين إيران ولبنان يقود بنا نحو رؤية منضبطة لالأوضاع اللبنانية الإيرانية وما ستكون مستقبلاً.

أولاً: دوافع الاهتمام الإيراني بلبنان

تتعدد الدوافع والأسباب الإيرانية للاهتمام بالدولة اللبنانية، وهذا الاهتمام يرجع بالأساس إلى الرغبة الإيرانية الملحة في تعظيم مناطق النفوذ التابعة لها بالمنطقة والتي ارتبطت بقيام الثورة الإسلامية في إيران، ويمكن إيجاز هذه الدوافع على النحو الآتي:

١. دوافع داخلية

تتمثل في الحاجة إلى تقوية الجبهة الداخلية الإيرانية والتوحد حول هدف واحد وهو ذلك المتعلق بمناصرة ومساندة الجماعات الشيعية المضطهدة على حسب تعبيرهم في المنطقة. ويكمن وراء ذلك الهدف رغبة خفية تتعلق بالحفاظ على الهيكل العام للنظام السياسي الذي وضعته الثورة الإسلامية، والذي يأتي على قمته المرشد الأعلى. لذلك فقد تبنت الثورة الإيرانية شعارًا يسمى "الصرخة" هو "**الله أكبر... الموت لأمريكا... الموت لإسرائيل... اللعنة على اليهود ...النصر للإسلام**"، من أجل استقطاب تعاطف الشعوب العربية في المنطقة، وجعل النموذج الإيراني "الثورة" هو النموذج الأمثل الذي يتطلع لنصرة الإسلام، وبالتالي تقوية النظام داخليًا وتوفير بوتقة الأمان له.وبالفعل فقد حققت هذه الشعارات نجاحًا كبيرًا، واكسبت إيران قاعدة شعبية بين شعوب المنطقة في بادئ الأمر، واعتبروها قدوة يجب على الدول العربية الاحتذاء بها. وبعد أن أوجدت إيران لنفسها الأرضية الخصبة للتحرك من خلال الشعارات السابق ذكرها،

(١) إبراهيم منشاوى، "الأبعاد والتداعيات:النفوذ الإيراني في لبنان"، تقديرات موقف المركز العربي للبحوث والدراسات (القاهرة : المركز العربى للبحوث والدراسات، ١٥ مارس ٢٠١٦)، ص ٢٧.

عمدت إلى تشكيل مجموعة من الحركات المؤيدة لها في العالم العربي، فأنشأت حزب الله في لبنان، والحركة الحوثية في اليمن(١).

٢. دوافع إقليمية

تتمثل في السعيلتوسيع وتقوية النفوذ الإيراني في منطقة الشرق الأوسط، وهو يتعلق ببعدين أساسيين وهما؛ **الأول:** تصدير الثورة الإيرانية إلى دول الإقليم من أجل تعزيز وتقوية النفوذ الإيراني في العالم العربي ومحاصرة المشروعات الأخرى التي تسعى لاحتواء الدور الإيراني. و**الثاني:** هو ذلك البعد المتعلق بفكرة نشر التشيع، والتي كانت لبنتها الأساسية تتمثل في الاعتماد على الطوائف الشيعية الموجودة في العالم العربي من أجل تحقيق ذلك الهدف، وهذا البعد يستهدف بالطبع تكوين كيانات شيعية قوية في الدول العربية لمساندة السياسات الإيرانية في المنطقة، وليس بأدلة على ذلك من حالة "حزب الله اللبناني" الذي ينخرط وبقوة في الحرب الدائرة في الدولة السورية بأمر مباشر من نظام ولاية الفقيه في طهران، بل إذا أردنا مزيدًا من الدقة يمكن القول إن "حزب الله" يمثل الذراع العسكرية الأولى للدولة الإيرانية في الوطن العربي، ويظهر هذا بوضوح في الدور الإيراني في تأسيس ذلك الحزب الذي انبثق عن حركة "أمل اللبنانية"، وفي البيان التأسيسي لنشأة الحزب الذي يعكس الهوية الإيرانية لحزب الله، والتماهي بين الحزب والنظام الإسلامي في طهران. وليس ثمة شك في هذا الإطار أن الدولة الإيرانية قد نجحت وبشدة في تحقيق أهدافها المتعلقة بإنشاء كيانات قوية مساندة لها في المنطقة، على شاكلة حزب الله في لبنان، والحركة الحوثية في اليمن، والسيطرة التامة على العراق، بالإضافة إلى تأجيج الكيانات والطوائف الشيعية على حكامها في عدد من الدول الأخرى مثل البحرين والكويت والسعودية(٢).

ثانياً: تطور النفوذ الإيراني في لبنان

يمكن هنا رصد تطور النفوذ الإيراني في لبنان من خلال أربع مراحل رئيسية تمتد من اندلاع الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ وحتى عام ٢٠٢٠ **على النحو التالي:**

المرحلة الأولى (ما قبل اتفاق الطائف)

قامت الثورة الإيرانية ولبنان كان يعاني من حرب أهلية ضروس اندلعت عام ١٩٧٥ ودامت لأكثر من ١٥ عامًا، وبعد أن نجحت الثورة وتشكلت ملامح النظام السياسي الإيراني، تحولت

(١) إبراهيم منشاوى، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧.

(٢) إبراهيم منشاوى، مرجع السابق، ص ٢٨.

طهران نحو دول الإقليم ومن بينها لبنان، التي كانت تضم طائفة شيعية كبيرة في ذلك الوقت تتركز في الجنوب اللبناني. وقد استغلت طهران حادث الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ فقامت بإرسال مجموعة من الحرس الثوري إلى وادي البقاع اللبناني، وقد اتصلت هذه المجموعة بالتيار الموالي لطهران داخل حركة أمل، وتم الاتفاق على تشكيل حزبًا أو حركة جديدة موالية لنظام ولاية الفقيه، فكان انشقاق حزب الله عن حركة أمل والإعلان عن تأسيسه عام ١٩٨٥؛ حيث لم تعتمد إيران على حركة أمل الشيعية التي أسسها موسى الصدر، لأن الحركة لم تكن على درجة كبيرة من التوافق مع مشروع تصدير الثورة الإيرانية. ومنذ ذلك التاريخ وحزب الله يتلقى دعمًا إيرانيًا على كل المستويات السياسية والمالية والإعلامية والعسكرية[١].

المرحلة الثانية (ما بعد اتفاق الطائف)

تطور النفوذ الإيراني في لبنان بعد اتفاق الطائف عام ١٩٨٩، الذي قاد إلى إنهاء الحرب الأهلية ونزع السلاح من كل الميلشيات المسلحة عدا حزب الله، حيث لم ينزع منه السلاح تحت دعوى أنه حركة مقاومة. ومن هنا فقد استغلت طهران هذه الحالة لتقديم مزيد من الدعم للحزب، ولكن اصطدم الطموح الإيراني في تلك الفترة بالنفوذ السوري في لبنان والذي كان يدعم حركة أمل ذات الموقف المعارض للسياسات الإيرانية في لبنان، لذلك يمكن القول أن النفوذ الإيراني في لبنان قد تعثر بعض الشيء في تلك الفترة نتيجة للصدامات التي قامت بين حركة أمل وحزب الله، والتي استمرت (١٠) سنوات وانتهت لصالح حزب الله.

إن حزب الله يمثل الذراع العسكرية الأولى للدولة الإيرانية في الوطن العربي، وهذا يظهر بوضوح في الدور الإيراني في تأسيس ذلك الحزب الذي انبثق عن حركة أمل اللبنانية[٢].

المرحلة الثالثة: عقب الانسحاب السورى من لبنان

عمقت إيران من وجودها في لبنان عقب اتفاق الطائف والتفاهمات التي جرت مع النظام السياسي السوري خاصة مع وصول بشار الأسد إلى سدة الحكم في دمشق عام ٢٠٠٠، ولذلك فقد واجه النفوذ الإيراني في لبنان مأزقًا صعبًا عقب الخروج السوري من لبنان على خلفية تفجير موكب رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري، لأنها كانت تعتمد بصورة مباشرة على الحليف

(2) Berit ,Benedetta, "The Ongoing battle Beirut: Old Dynamics and New Trends", the Institute for National Security Studies (Tel Aviv:Tel AvivUniversity,2001), p. 2 & 4

(٢)عبدالله الدقماسة ،"السياسة الخارجية الإيرانية باتجاه مجلس التعاون الخليجي ٢٠٠٢"، رسالة ماجستير غير منشورة (عمان: معهد بيت الحكمة، جامعة آل البيت، ٢٠٠٩)، ص٣٢.

السوري لتقوية نفوذها في الداخل اللبناني، لذلك حاولت طهران ملء ذلك الفراغ من خلال الدعم القوي لحزب الله ضد العدوان الإسرائيلي عام ٢٠٠٦ على المستوى المالي والإعلامي، وكذلك المشاركة في جهود إعمار ما دمرته الحرب، ومحاولة التنسيق مع المسئولين اللبنانيين لبحث كيفية مساعدة طهران للشعب اللبناني(١).

ثالثاً: موقف إيران من حرب لبنان ٢٠٠٦

حينما اندلعت الحرب على لبنان أعلنت إيران تأييدها المطلق "لحزب الله"، ولم يتوانى المسئولون الإيرانيون عن المصارحة العلنية برفض نزع سلاح حزب الله ومشروع القرار الأمريكي الفرنسي لإيقاف الحرب، وقد قامت إيران بدعم "حزب الله" بما لا يقل عن (١٠٠) مليون دولار سنويًا، كما زودته بما يقرب (١١٠٠: ١٣٠٠) صاروخ من طرز مختلفة ومتنوعة، كما انتقل بعض كوادر الحرس الثووري الإيراني من مهمام التدريب إلى القتال مع صفوف "حزب الله" في أثناء تلك الحرب، وقد قان رجال الحرس الإيرانيين بإطلاق الصواريخ التي أصابت المجمعات الإسرائيلية على السواحل اللبنانية، كما أن امتلاك إيران للسلاح النووي وإعلانها بالوقوف في صف لبنان، كان بمثابة تهديد جيد للقوات الإسرائيلية في المنطقة(٢).

حتى بعد انتهاء حرب يوليو ٢٠٠٦ لصالح "حزب الله" بفضل إيران وخسارة إسرائيل، قامت إيران أيضا بتقديم المساعدات غير المشروطة إلى لبنان في كافة المجالات لإعادة أعمارها إثر الحرب الإسرائيلية(٣).

رابعاً: العلاقات الإيرانية- اللبنانية في المرحلة الراهنة

تعتبر المرحلة الراهنة من أكثر الفترات التي تعكس تطور النفوذ الإيراني في الداخل اللبناني، وقد ارتبط هذا بالطبع بحالة عدم الاستقرار السياسي التي تعاني منها الدول العربية وانتشار الجماعات الإرهابية بعد موجة الثورات؛ حيث وجدت طهران الفرصة أمامها سانحة لإنجاح ترتيباتها في المنطقة، واستغلت في ذلك "حزب الله" وأدواته الإعلامية والثقافية والعسكرية لدعم

---

(١) إسماعيل عبدالفتاح،إدارة الصراعات والأزمات الدولية: نظرة مقارنة لادارة الصراع العربى الاسرائيلى فى مراحل مختلفة (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨)، ص ص ١١٢-١١٦.

(٢) سلطان محمد النعيمي، "الفكر السياسي الإيراني من قيام الثورة الإيرانية وحتى عام٢٠٠٠"، رسالة دكتوراة غير منشورة (القاهرة: كلية الأداب جامعة عين شمس، ٢٠٠٧)، ص ص ١٦٢- ١٦٤.

(2) Kenneth Katzman , "Iran’s Foreign and Defense Policies" , MiddleEastern Affairs,2017.

السياسات الإيرانية، فعلى سبيل المثال نجحت طهران في إشراك "حزب الله" في الحرب السورية للحفاظ على نظام بشار الأسد حليفها الأول في المنطقة(١).

كما جعلت "حزب الله" يكرس أدواته الإعلامية للدفاع عن الطوائف الشيعية في العالم العربي مثل الحوثيين وشيعة البحرين والسعودية والكويت. وقد ارتبط هذا بعامل آخر وهو التوصل لاتفاق نووي مع مجموعة (٥+١)، والذي فتح المجال رحبًا أمام طهران لتعضيد نفوذها وتقويته في الشرق الأوسط.

خامساً: وسائل وأدوات الدعم الإيراني لبنان

تعد لبنان امتدادًا ثقافيًا وجغرافيًا وسياسيًا لإيران؛ حيث إن المذهب الشيعي الاثني عشرية ينتشر في لبنان وخاصة في المناطق الجنوبية منها، وتحتل لبنان مكانه استثنائية في الاستراتيجية الإيرانية ولدي الشعب الإيراني –وفق تصريحات وزير الثقافه والإرشاد الإيراني "محمد حسيني"– ومع بداية عام ٢٠٠٥م، ووصول التيار المحافظ للحكم بقيادة "أحمدي نجاد" وإيمانه بالمبادئ الثورية ومبدا تصدير الثورة ولتحقيق ذلك ازدادت التحركات الناعمة الايرانية التي منها الإعلامية والثقافية والسياسية(٢).

علاوة على نجاح جناح المقاومة الشيعي حزب الله في لبنان في تحرير الأراضي اللبنانية عام ٢٠٠٠ ثم في حرب ٢٠٠٦، كل ذلك مهد لإيران أن تتدخل في الشان اللبناني(٣).

١. الأدوات السياسية

تدعم إيران حزب الله سياسيًا من خلال التأكيد على أنه حركة مقاومة تستهدف تحرير الدولة الفلسطينية من الاحتلال الإسرائيلي، وكانت تقف وراء محاولة تحويل الحزب من مجرد حركة مقاومة عسكرية إلى المشاركة في الحياة السياسية اللبنانية عقب اتفاق الطائف، وبالفعل شارك الحزب في بداية الأمر في الانتخابات البرلمانية اللبنانية بعد انتهاء الحرب الأهلية وفاز بـ(١١) مقعدًا في البرلمان فى عام ٢٠٠٩. ووصل الدعم السياسي الإيراني لحزب الله ذروته في أكتوبر

(١) سماح عبدالصبورعبد الحي، القوة الذكية في السياسة الخارجية الايرانية تجاه لبنان (القاهرة: دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠١٤)، ص ١٨٢.

(٢) وزير الثقافة والارشاد الايراني، "لبنان مكانة استثنائية لدي الشعب الايراني"، موقع المجمع العلمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، ٢٠١٢.

(٣) بنديتا بارتي: "احمدي نجاد في بيروت:تأكيد نفوذ الجمهورية الاسلامية في لبنان"،جريدة سما الأخبارية (بيروت: جريدة سما الاخبارية) ، منشور علي: http://samanews.ps/ar/post/79880

٢٠١٠ عندما زار أحمدي نجاد الدولة اللبنانية، وألقى خطابه في منطقة بنت جبيل المعقل الرئيسي لحزب الله[١].

كما اتخذت إيران موقفًا حاسمًا من إعلان "حزب الله" منظمة إرهابية، حيث رفضت هذا القرار شكلًا وموضوعًا واعتبرته قرارًا غير مسئول يخدم بالدرجة الأولى مصالح الكيان الصهيوني.

٢. الأدوات الثقافية

مهد التوافق المذهبي لازدياد النشاط الثقافي الإيراني داخل لبنان، بيد أن إيران لم تتوقف على جذب الطائفه الشعية فقط، بل صارت تفتح علاقات طيبه مع كامل الطوائف، وهذا يفسر نجاح اليات الناعمة في جذب وضم الشرائح اللبنانية وانبهارها بالمشروع الإيراني، وتكمن مظاهر النشاط الثقافي في الآتى:

- وجود المركز الثقافي الإيراني داخل لبنان وهو يقيم العديد من الانشطه الثقافية وفاعل نشط علي الساحه الثقافية اللبنانية وإقامة ندوات للمعرفة بتاريخ الجمهورية الإسلامية الإيرانية[٢].
- إنشاء عدد من المكتبات في لبنان والتي تضم دوريات وكتب علمية عربية وفارسيه كنوع من التفاعل الثقافي، وكذلك المكتبة العامة للمستشارية الثقافية الإيرانية في بيروت، والتركيز علي نشر الحضارة الإيرانية واللغه الفارسية والبعثات التعلمية ولحزب الله دورًا كبيرًا في نشر الثقافة الإيرانية والتشييع في لبنان[٣].
- ثمة مؤسسات إيرانية ثقافية تنشط داخل لبنان مثل جمعية مراكز الإمام الخميني الثقافية، والتي لها فروع في بيروت وضواحيها وفي الجنوب والبقاع، ويصل عددها إلى (١٥) فرعاً داخل الدولة اللبنانية. كما أنشأت إيران عددًا من المؤسسات التعليمية التي تلعب دوراً في العملية التعليمية داخل لبنان منها جامعة أزاد الإسلامية، ومعهد الرسول الأكرم والسيدة الزهراء، والمدرسة الإيرانية للبنات والمدرسة الإيرانية للبنين، والمؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم. وعدد آخر من المراكز البحثية والثقافية التي يُشرف عليها حزب الله اللبناني، ومنها المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، ومركز الإمام الخميني الثقافي، وجمعية "قيم" وجمعية أمان،

---

(١) أحمدي نجاد يؤكد فى بيروت دعم بلاده لوحدة لبنان، بى بى سى، ١٣ أكتوبر ٢٠١٠.

(٢) سماح عبد الصبور عبد الحى، مرجع سبق ذكره، ص ١٥٨.

(٣) --------- موقع المستشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية الايرانية – (بيروت): http://ar.beirut.icro.ir

وكذلك البعثات التعليمية لطلاب لبنان داخل الجامعات الإيرانية[١].

ويكرس الحراك الإيراني المدعوم من حزب الله لنشر اللغة الفارسية وثقافتها في لبنان للمزيد من إحكام القبضة الإيرانية على لبنان عام، والطائفة الشيعية، خاصة من خلال البوابة الثقافية التي تعتبر رابطاً قوياً، يساهم في بناء علاقات مشتركة وثيقة تزاوج بين الهيمنة والتبعية.

٣. الأدوات الإعلامية

في هذا الإطار تقدم طهران الدعم المالي والمعنوي للصحف والقنوات التي تسعى إلى نشر الثقافة الإيرانية ومبادئ الإمام الخميني ونشر المذهب الشيعي في لبنان والتي تساند سياسات حزب الله. ومن تلك القنوات التي ساعدت إيران في تأسيسها وتقدم لها كل أوجه الدعم المالي والمعنوي قناة المنار التابعة لحزب الله، وقناة إن بي إن التابعة لحركة أمل. ومن الصحف التي تمولها إيران داخل لبنان صحيفة بيت الله التابعة لجمعية المعارف الإسلامية، صحيفة الحياة الطيبة التابعة لمعهد الرسول الأكرم. كما قامت إيران بتمويل عدد من القنوات الفضائية التي تبث من لبنان برعاية حزب الله، لدعم المكونات الشيعية في العالم العربي، مثل قناة المسيرة الحوثية والاتجاه المؤيدة لميليشيات الحشد الشعبي في العراق وقنوات الثبات والقدس وفلسطين اليوم والميادين.

٤. الأدوات الدينية

تعمل إيران على نشر فهمها للنموذج الشيعي المتمثل بولاية الفقيه "تشيع قومي فارسي" حول العالم، وتخرج الأئمة الموالين لها والذين يعملون كسفراء لقوتها الناعمة ينشرون رسائل إيران الدينية والثورية والإعلامية والثقافية والسياسية، كذلك توحيد الأقليات الشيعية أينما وُجدت تحت رايتها، وتستخدم أيضًا المصطلحات التي تساعد على توسيع نفوذها في هذا الإطار لنشر التشيع في بيئات أخرى كالوحدة الإسلامية، والتضامن الإسلامي، ومساعدة حركات التحرر ودعم حزب الله اللبناني وإظهاره على أنه حركة مقاومة ضد أي اعتداء خارجي وإعلان مبادئ التسامح

(١) علي محمد طه، جهود حزب الله في نشر اللغة الفارسية في لبنان، (موقع المثقف الجديد، ابريل ٢٠١٧)، ماخوذ من:

http://www.al-muthaqaf.net/?p=59886

والحوار بما ينعكس مكسبًا سياسيًا، ولما في لبنان من وجود شيعي كبير مهد الطريق للامتداد الثقافي والتغول السياسي للدولة الايرانية في الشان اللبناني(١).

٥. الأدوات المالية والعسكرية

لقد سعت إيران إلى دعم أواصر علاقتها مع لبنان على المستوى الرسمي والدولي؛ففي عام ٢٠٠٥ تم إبرام عقد للتفاهم والتعاون بين وزارة الدفاع الوطني في لبنان ووزارة الدفاع وإسناد القوات المسلحة في إيران، وقامت أيضا لزيادة دعم العلاقات العسكرية الرسمية في ٢٠٠٨، طلب الرئيس اللبناني (ميشال سليمان) من إيران بدعمها وإمدادها بالأسلحة العسكرية التي تساعد في تسليح الجيش اللبناني، وقامت إيران بالموافقة وأبدت كامل رغبتها في ذلك، وكانت إيران هي أول من أعلنت استعدادها الجدي بتسليح الجيش اللبناني بأفضل المعدات دون أي شروط.

وبالرغم من تلك العروض الإيرانية السخية لدعم لبنان عسكريًا وتسليح جيشها، فإن هذا الدعم يواجه العديد من الصعوبات، حيث إن لبنان دولة مهمة في ميزان استقرار دول الشرق الأوسط.(٢)

ولذا تقوم الدول الكبرى بمحاولة تحييد لبنان وبعدها عن تزايد النفوذ الإيراني بها، خوفاً على مصالح الدول الغربية وإسرائيل، كما تحاول الولايات المتحدة أيضًا بمنع النفوذ الإيراني داخل لبنان على مستوياته الرسمية، فقد قامت الولايات المتحدة بإصدار قرارات وعقوبات على لبنان إذا تم أي تعامل عسكري مباشر مع إيران؛ لذا تقف العقوبات الدولية حائلاً أمام إيران في زيادة نفوذها العسكري في لبنان بشكل مباشر.

وهذا ما جعل صور التدخلات الإيرانية الغير مباشرة تشكل دورًا فعالاً في الساحة الداخلية اللبنانية، وبجانب الدعم غير المباشر بالأسلحة ظهرت مؤشرات عديدة للوجود العسكري الفعلي الإيراني في لبنان بواسطة عناصر عسكرية إيرانية(٣).

منذ نشأة حزب الله وهو يتلقى الدعم المالي من إيران، والذي قدِّر في بعض الأوقات بـ(٢٠٠) مليون دولار سنويًا، وقد تأرجح هذا الدعم بين الفينة والأخرى نتيجة نظام العقوبات

---

(١) إياد المجالى، "اكتشاف القوة الناعمة الإيرانية.. القدرات وحدود التأثير"، مجلة مدارات إيرانية (القاهرة : المركز الديمقراطى العربى ، العدد ٤، يونيو ٢٠١٩)، ص١٢ .

(٢) عبد المنعم المشاط، "أمن الخليج العربى، دراسة فى الإدراك والسياسات"، مركز البحوث والدراسات (القاهرة: مركز البحوث والدراسات، ١٩٩٤)، ص ٢٩٢.

(٣) سماح عبد الصبور عبد الحى، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٧.

المفروض على طهران، ومن المتوقع أن يعود هذا الدعم بصورة أقوى مما كان عليها بعد رفع العقوبات عن إيران عقب توقيع الاتفاق النووي. وعلى المستوى العسكري تسهم إيران في تدريب ميلشيات حزب الله، وإمدادها بالسلاح من خلال التنسيق بين الجانب السوري والحرس الثوري الإيراني. وتحاول إيران في الفترة الأخيرة تكريس وجودها العسكري في لبنان بصورة أكبر من خلال عرضها تسليح الجيش اللبناني لتحل محل الرياض على خلفية الأزمة الأخيرة التي علقت فيها المملكة العربية السعودية مساعدتها للدولة اللبنانية.

يواجه لبنان مأزقًا أمنيًا حرجًا نتيجة لتورط حزب الله في الحرب السورية، مما أجج الميلشيات الإرهابية ضد لبنان كداعش والنصرة. وكان رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق "بنيامين نتنياهو" قد كشف أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر ٢٠١٨، عن رصد مصنعين تابعين إلى حزب الله خصصا لصيانة الصواريخ وتطويرها، وهو الأمر الذي يؤثر بشكل مباشر على إسرائيل، بالإضافة إلى ان إيران تساهم بشكل كبير في هذه المصانع وتقدم الدعم اللوجستي لتأمين تلك المصانع مخترقة بذلك القانون رقم (١٧٠١)، الذي نص على عدم بيع اية أسلحة للبنان إلا بموافقة حكومتها وهو ما اعتبرته إيران تحديًا لنفوذها في لبنان[١].

وبلغ حجم الدعم السنوي الذي تقدمه إيران لحزب الله ٧٠٠ مليون دولار، ذلك الدعم الذي جعل حزب الله يحوز على أسلحة عسكرية ثقيلة، تجعله يدافع عن نفسه ضد أي عدوان إسرائيلي أو ينفيذ عمليات عسكرية داخل لبنان أو خارجها، ونتيجة للسياسة الاقتصادية التي اتخذتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد إيران وحزب الله على السواء، بدأ حجم الدعم المقدم من إيران إلى حزب الله يتضاءل نسبيًا، الأمر الذي جعل الحزب في مأزق مالي يصعب الخروج منه[٢].

سادساً: الزيارات المتبادلة إيران ولبنان

تعود العلاقات السياسية بين إيران ولبنان ما قبل الثورة الإسلامية في إيران الى ١٩٤٢، وكانت عباره عن قنصلية عامة حتى حصلت لبنان على استقلالها في ١٩٤٣، أدى إلى أن

---

(١) حنين غدار و ماثيو ليفيت، "مصانع صواريخ حزب الله في المناطق الحضرية تعرض المدنيين للخطر"،معهد واشنطن (واشنطن : معهد وشنطن، تاريخ النشر أكتوبر ٢٠١٨)، متاح على الرابط https://bit.ly/32A4dAT.

(٢) ----------، سبوتنك عربي، بلومبرغ تكشف الدعم السنوي من إيران لحزب الله, تاريخ النشر إبريل ٢٠١٩، متاح على الرابط :

.https://bit.ly/2D56Emh

ازداد التمثيل الدبلوماسي بينهم من وزير مفوض إلى أن وصل الى سفير عام ١٩٥٨، إلى أن توقفت العلاقات الدبوماسية والسياسية بينهم في ١٩٦٩، بسبب رفض لبنان تسليم الجنرال تيمور بختيار وهو مؤسس جهاز الاستخبارات الإيراني أو ما يعرف باسم السافاك بمساعدة أمريكية، وقد فر إلى بيروت بسبب تعاونه مع الولايات الممتحدة الأمريكية لسقوط الشاه الإيراني في إدارة الرئيس الأمريكي جون كيندي، وعادت العلاقات مرة أخرى في فترة الرئيس اللبناني كميل شمعون(١).

أما فترة ما بعد الثورة الإسلامية، فقد استغلت إيران الاجتياح الاسرايلي للبنان عام ١٩٨٣، وأرسلت العديد من مجموعات الحرس الثوري، والتقت هذه المجموعات بالطرف الموالي لطهران داخل حركة أمل، مما أدى لإنشاء حزب الله في لبنان عام ١٩٨٥، ومن حينها تعتمد إيران على حزب الله في لبنان، وأصبح لإيران كيان دائم داخل لبنان، وتدعم إيران حزب الله كحركة مقاومة للنفوذ والتوسع الإسرائيلي، وقد ازدادت العلاقات السياسية والتمثييل الدبلوماسي مرة أخرى بين الدولتين بعد اتفاق الطائف ١٩٨٩، وكان هدفه خروج السوريين من الأراضي اللبنانية، وازداد النفوذ الإيراني في لبنان وازدادت العلاقات السياسية، وازدادت أكثر بعد حرب الوكالة بين حزب الله وإسرائيل في لبنان في ٢٠٠٦ (٢).

ولتعميق التعاون كانت هناك العديد من الزيارات على المستوى الدبلوماسي والسياسي، فنجد أن وزير خارجية إيران جواد ظريف قد زار إيران في ٢٠١٥ بعد الاتفاق النووي، وكان هدف الزيارة هو تعميق التعاون وزيادة الصلة بين إيران ولبنان، وحل مشكلة الرئاسة اللبنانية المتعلقة بالتسوية بين الأطراف الفاعلين في لبنان أهمهم بالنسبة لإيران حزب الله، الذي أكد ظريف دعمه الكامل لذلك الحزب، ومن الواضح أن إيران قامت بتلك الزيارة اعتمادا على نظرتها للبنان أنها جزء من النفوذ والسيطرة الإيرانية ولابد الحفاظ على حمايتها وحفظها من التفرقة الداخلية لحماية إيران من الاعتداء الخارجي وحفظ السلام الداخلي لإيران(٣).

---

(١) أسامة سيد رمضان وأخرون، "العلاقات الإيرانية اللبنانية فى ضوء الوجود الشيعى فى لبنان"، دراسات بحثية منشورة بالمركز الديمقراطى العربى للدراسات الاستراتيجية (القاهرة : المركز الديمقراطى العربى للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، ٢٠٢٠)، ص ٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٨.

(٣) أسامة سيد رمضان وأخرون، مرجع سبق ذكره، ص ٥.

وقام وزير خارجية إيران ظريف بزيارة للبنان بعد إعلان الفائزين في البرلمان اللبناني وبعد فوز ميشال عون برئاسة لبنان بعد الفراغ السياسي في منصب رئيس الدولة الذي دام حوالي سنتين، وتعتبر هذه الزيارة من أهم الزيارات التي قام بها ظريف الى لبنان؛ حيث أراد أن يؤكد دعم إيران لميشال عون، وهذا يعني أنه لن يقف أمام النفوذ الإيراني في لبنان، لأنه بالنسبة لإيران استقرار إيران من إستقرار الوضع في لبنان.

وقد زار مستشار الشؤون الدولية لمرشد الثورة الإسلامية الإيرانية علي أكبر ولايتي مع وفد من المسؤولين الإيرانيين، كانت في ٢٠١٧، وكان هدفها بحث مسألة النازحين السوريين في لبنان الذين تخطى عددهم مليون و٦٠٠ ألف، حيث أكد عون أنه يثق في جهود إيران لحل الأزمة السورية في إشارة للثقة المتبادلة بينهم ومدى التعاون والترابط بين الدولتين، كما دعا عون لزيادة العلاقات بين الدولتين وهذا ما يريدة آية الله خامنئ، وهذا أيضًا ما أكده عون في زيارته للسعودية من نفس العام، عندما أكد أن المساعدات الإيرانية لحزب الله لا تعيق علاقات لبنان مع العالم العربي، مؤكدًا أهمية ذلك الدعم الإيراني للحزب كنوع من حفظ الأمن والاستقرار في الداخل الإيراني، كما تلقى عون اتصالاً هاتفيًا من رئيس الجمهورية الإسلامية "حسن روحاني"؛ حيث أراد روحاني تعميق العلاقات بينهم وخاصة السياسية، وعرض توفير السلاح للبنان لزيادة حفظ الدولة من الخطر الإرهابي، وعزم أنه لن يسمح بأن تكون لبنان دولة أو ساحة إرهابية للحروب(١).

وفي ٢٠١٩ توجه جواد ظريف بزيارة رسمية للبنان، وكان هدفها تعميق التعاون بينهم، ومناقشة موضوع نزع السلاح من حزب الله الذي طلبته الأمم المتحدة من لبنان، كما أن هناك ضغوطًا من إسرائيل على لبنان لنزع سلاح حزب الله بسبب إرسال حزب الله السلاح إلى سوريا ضد إسرائيل، كما تم مناقشة الأوضاع الفلسطينية والسورية خلال تلك الزيارة، وقد هنأت وزارة الخارجية الإيرانية لبنان على تشكيل الحكومة الجديدة برئاسة سعد الحريري، في إشارة إلى أهمية حفظ الأمن والسلم في الداخل اللبناني(٢).

وفي أعقاب الانفجار الذي حدث في مرفأ لبنان ومقتل العديد من اللبنانيين في ٤ أغسطس ٢٠٢٠، أكد ظريف عبر حسابة الشخصي على تويتر، أن إيران جاهزة لتقديم كافة المساعدات للبنان، وقد زار ظريف لبنان يوم ١٣ أغسطس ٢٠٢٠، داعيًا نظيره اللبناني بعدم استقبال أي

(١) أسامة رمضان وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص ٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٧ و ٨.

مساعدات دولية مشروطة بتغيير سياسي؛ حيث أكد أن الشعب اللبناني والحكومة اللبنانية هم وحدهم من يحددوا مستقبل الدولة، في إشارة لمنع التدخل الأجنبي رغم تدخل إيران الأجنبي في سياسات لبنان من خلال ذراعها حزب الله، وأكد ظريف أن لبنان يجب أن تقوم هي فقط بالتحقيق في قضية مرفأ بيروت وهذا يوضح خوف إيران من التحقيق الدولي من خلال فرض عقوبات أو ضرائب على إيران، أو تقليل الوجود الإيراني في لبنان. ووجب التنويه أن إيران لم تشارك في مؤتمر المانحين الذي عقد عبر تقنية الفيديو كونفراس لجمع مساعدات للبنان بسبب الخسائر الفادحة والانهيار الاقتصادي هناك، رغم أن إعلان ظريف عن نية دعم إيران للبنان، وهذا يؤكد عدم رغبة إيران في التدخل الدولي داخل لبنان، وأنها تريد أن تشارك وحدها في دعم لبنان لتسيطر مجددًا على لبنان والحد من الوجود الأجنبي هناك(١).

سابعاً: تداعيات النفوذ الإيراني على الداخل اللبناني

يتضح بما لا يدع مجالاً للشك أن النفوذ الإيراني داخل الدولة اللبنانية قد أثر كثيرًا على مجمل الأوضاع الداخلية في "بيروت" لا سيما مع حالة عدم الاستقرار التي تعيشها الدول العربية، ويبدو جلياًأن العلاقات بين إيران ولبنان وصلت إلى أعلى مستوى في العلاقات بين وحدتين دوليتين، ويطلق عليها وفقًا لقواميس العلوم السياسية أنها "علاقات خاصة وفق منهج مذهبي"، كما وصلت الوحدتان إلى أعلى درجة من التنسيق في كافة القضايا الداخلية والخارجية، وأصبح لكلا الطرفين حق التحدث باسم الطرف الآخر فيما يخص تلك القضايا وتوجيه السياسات وعقد التحالفات، فأصبحت إيران تتحدث باسم "حزب الله" وتدعمه في الشؤون الدولية والإقليمية، وقد أسفر عن ذلك وضع لبنان الذي أصبح متفرقًا سياسيًا مخترقًا من إيران متصارعًا طائفيا(٢).

ونوضح فيما يلي الأزمات اللبنانية المترتبة على ذلك التدخل الإيراني في لبنان كالآتى:

١. عدم الاستقرار السياسي والأمني

حيث عجزت الدولة اللبنانية منذ ٢٥ مايو ٢٠١٤ عن انتخاب رئيس للجمهورية من خلال مجلس النواب لعدم اكتمال النصاب القانوني للحضور، والذي يتطلب حضور ثلثي الأعضاء البالغ عددهم (١٢٠) عضوًا. حيث أرجأ رئيس البرلمان، نبيه بري، جلسة انتخاب رئيس

(١) المرجع نفسه، ص ٩.

(٢) أحمد ثابت محمد وأخرون، "أثر المذهبية فى السياسة الخارجية الإيرانية حالة العراق– سوريا– لبنان" ، دراسات بحثية بالمركز الديمقراطي العربي (القاهرة: المركز الديمقراطى العربى، ٢٠١٧)، ص٧٥.

الجمهورية التي كانت مقررة في ٢ مارس ٢٠١٦ إلى ٢٣ مارس. ومن المعروف أن مجلس النواب تتنازعه قوتان أساسيتان وهما قوى" ١٤ آذار " المناهضة "لحزب الله" ودمشق، وقوى" ٨ آذار " المدعومة من دمشق وطهران، ومازالت هذه الأزمة السياسية غير محسومة حتى هذه اللحظة بسبب مقاطعة نواب "حزب الله" وحلفائه حضور جلسة اختيار الرئيس. وعلى المستوى الأمني تواجه لبنان مأزقًا أمنيًا حرجًا نتيجة لتورط "حزب الله" في الحرب السورية، مما أجج الميلشيات الإرهابية ضد لبنان كداعش والنصرة، وقد ظهر هذا جليًا في الهجمات الإرهابية على الجنود اللبنانيين في منطقة عرسال(١).

٢. النمط التصويتي اللبناني على القرارات التي تخص الدولة الإيرانية وحلفائها

بطبيعة الحال أثر النفوذ الإيراني في لبنان على النمط التصويتي لها داخل جامعة الدول العربية فيما يتعلق بالقرارات التي تمس إيران أو حلفاءها في المنطقة؛ حيث امتنعت لبنان على التصويت على قرار وزراء الخارجية العرب، والذي أكد على التضامن الكامل مع السعودية وإدانة الاعتداءات على سفارتها في طهران وقنصليتها في مدينة مشهد الإيرانية. كما تحفظت لبنان على قرار وزراء الخارجية العرب في ١١ مارس ٢٠١٦ والذي صنف حزب الله منظمة إرهابية، وقد سبقه قرار مماثل على مستوى وزراء الداخلية العرب في ختام دورتهم ٣٣ في تونس في ٢ مارس ٢٠١٦، والذي تحفظت عليه لبنان أيضًا(٢).

٣. توتر العلاقات اللبنانية / الخليجية

فقد توترت العلاقات اللبنانية / الخليجية في الآونة الأخيرة نتيجة للنمط التصويتي اللبناني على قرارات الجامعة العربية السابق ذكرها، خاصة بعد الاعتداء على السفارة السعودية في إيران. فعلى إثر امتناع لبنان عن التصويت على قرار وزراء الخارجية العرب الذي ناهض الأعمال الاستفزازية والتصريحات العدائية الإيرانية في المنطقة داخل جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، أوقفت المملكة مساعداتها لتسليح الجيش اللبناني، كما طالبت وزارة الخارجية السعودية مواطنيها بعدم السفر إلى بيروت. وقد سار عدد من الدول الخليجية في فلك الرياض، حيث دعت كل من الإمارات والبحرين وقطر والكويت مواطنيها إلى عدم السفر إلى لبنان، وحثت

(١) كريم سيجادبور، إيران وتسريبات ويكلكس: إعادة النظر فى صورة إيران فى العالم (بيروت: مؤسسة كارينجى للسلام الدولى، نوفمبر ٢٠١١)، ص ٢٣.

(٢) فرانس ٢٤، "وزراء الخارجية العرب يعتبرون حزب الله جماعة " إرهابية" والعراق ولبنان يتحفظان"، فرانس ٢٤ (ابو ظبى: جريدة الشرق الأوسط، نشر فى ١١ مارس ٢٠١٦) .

الموجودين هناك على سرعة المغادرة، وخفضت كل من الإمارات والبحرين تمثيلهما الدبلوماسي في لبنان(١).

٤. توسع وانتشار تنظيم داعش

لقد أصبحت لبنان ملاذًا آمنًا لتنظيم " داعش "، حالها كحال غيرها من الدول العربية التي أُصيبت بالأذى الإيراني، وأصبح هذا التنظيم مسيطرًا على المناطق القريبة من الحدود اللبنانية السورية، ولقد دارت في هذه المنطقة بالتحديد "عرسال وبريتال " الكثير من المعارك الدامية بين "داعش " و " الجيش اللبناني " و " حزب الله "، ومازال تنظيم داعش يقوم باختطاف الجنود اللبنانين، وينفذ العمليات الإرهابية بلبنان، كما حدث في الآونة الأخيرة؛ حيث العملية التي شهدتها قرية (القاع) في يونيو ٢٠١٦ م، واعتبر الكثير من اللبنانيين أن " حزب الله " كان له الدور الأكبر في أضرار التنظيم الداعشي وامتلاكه السلاح والقتال في سوريا، مما أدى إلى الكثير من التفجيرات في لبنان وأيضًا عمليات الاختطاف والاغتيالات، ولقد أدى ذلك إلى تورط لبنان في المعارك مع الجهات المتطرفة(٢).

٥. سيادة البعد الطائفى

بالإضافة إلى مشكلة التعدد الطائفي في لبنان؛ حيث إن به العديد من الطوائف (السنية والشيعية والمسيحية والدرزية)، توجد أيضا المشكلة الكبرى وهي "تسييس" مكونات الدولة وجسدها السياسي، فتقوم إيران بتلك العملية بجدارة ليس فقط في لبنان، ولكن أيضًا تقوم بالممارسة في العراق واليمن وسوريا، فهي تدعم وتنشر " التشيع " وتقوم بإنشاء المؤسسات ذات البعد الطائفي، ذاك الذي يسبب الحروب الأهلية وإنهاك قوى الدولة لصالح فصيل طائفي معين يسعى لإحكام سيطرته سياسيًا واقتصاديًا في البلاد، وتنفيذ أجندة من يدعمه، هذا ما يفعله " حزب الله " في لبنان لصالح إيران، ليس فقط في لبنان، بل تتمرس في العراق وسوريا واليمن، وراحت تدعم وتنشر التشيع وتقيم المؤسَّسات ذات البعد الطائفي، هذا الأمر ينتج عنه ما يُسَمَّى " الاقتتال الطائفي "، والدخول في أتون حروب أهلية على غرار الحروب اللبنانية الأهلية عام ١٩٩٩، والتشرذم المجتمعي، وإنهاك قوى الدولة لصالح فصيل طائفي يسعى لإحكام سيطرته

(١) سماح عبد الصبور عبد الحى، مرجع سبق ذكره، ص ٢١١.

(٢) أحمد ثابت محمد وأخرون، مرجع سبق ذكره، ص ٧٧.

على المعادلة السياسيَّة والاقتصادية بالبلاد لتنفيذ أجندة مَن يدعمه، وهو ما يفعله حزب الله في لبنان[١].

المطلب الرابع: العلاقات الإيرانية – الفلسطينية

كانت إيران أول دولة ذات أغلبية مسلمة تمنح اعترافاً بحكم القانون لإسرائيل، تحت حكم الشاه "محمد رضا پهلوي"، وقبل ثورة ١٩٧٩ ارتبطت إيران وفلسطين في علاقات تجارية وعسكرية سرية، دون علم إسرائيل، كما قدمت إيران السلاح لمنظمة التحرير الفلسطينية لمحاربة القوات الإسرائيلية في الأراضي المحتلة، مع أن إيران احتفظت بالعلاقات السرية مع إسرائيل في ذلك الوقت، كان عليها الحفاظ على تحالفها مع فلسطين خفي عن إسرائيل، وعلاقتها مع إسرائيل خفية عن فلسطين، وأثناء حرب ١٩٦٧ قدمت إيران للمقاتلين الفلسطينيين الأموال والذخائر، ومع ذلك فإن الفلسطينيين وأيضًا الدول العربية خسروا الحرب، ليطالب الفلسطينيون اللجوء إلى إيران. اعتزمت إيران عدم إفساد علاقتها مع إسرائيل لتختار عدم توفير المأوى للاجئين الفلسطينيين[٢].

عقب الثورة الإيرانية ١٩٧٩،دعمت منظمة التحرير الفلسطينية ثورة ١٩٧٩، وبعد عدة أيام من الثورة، ترأس زعيم منظمة التحرير الفلسطينية "ياسر عرفات" وفد فلسطيني إلى إيران، وتلقت الوفود الفلسطينية ترحيباً علنياً، وتسلموا رمزياً مفاتيح السفارة الإسرائيلية في طهران، التي أصبحت في ما بعد سفارة فلسطينية. ويذكر أصحاب عرفات الذي كان معروفاً بسرعة البديهة والدهاء، أنه تفاجأ من طلب الخميني أثناء لقائه في إيران مترجماً للفارسية رغم أنه يعرف العربية جيداً، وقوله في مجالس مغلقة بعد ذلك متندراً حول "الثورة الإسلامية التي لا تتحدث العربية" وإنما فقط الفارسية[٣].

كان عرفات يريد لهذه العلاقة أن تستمر، لكن سرعان ما حسمها الإيرانيون مع بداية الحرب العراقية الإيرانية إذ طلبوا من عرفات موقفاً مؤيداً ومناهضاً ومعلناً وعملياً من الرئيس العراقي

---

(١) المرجع السابق، ص ٧٨.

(٢) عدنان عدوان، "القضية الفلسطينية والخطاب السياسى للثورة الإيرانية، اتحاد الكتاب العرب"،مجلة العرب للفكر السياسي (بغداد : مجلة العرب الفكر السياسى، ٢٠١٣، العدد ٤٦، ص ٢٠٩)، ص ٦٢.

(٣) مصطفى المغازى، "إيران والقضية الفلسطينية خلال العهد الملكى والجمهورى"،ورقة منشورة بالمركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية(القاهرة: المركز الديمقراطى العربى للدراسات الإستراتيجية والاقتصادية والسياسية، ٢٠١٧)، ص ٥٢.

صدام حسين والعرب، لكنه بعد عدة وساطات ومحاولات لتجاوز أمر الحرب برمته، اختار الانحياز لعروبته، ولم ترَ العلاقة منذ ذلك الوقت خيراً قط، بل دخلت في علاقة مواجهة كبيرة ومحاولات استئثار بالقرار وفرض أجندات وإحداث انشقاقات مع وقف كل دعم مالي أو عسكري ممكن، وهذا ما انسحب لاحقاً على كل علاقة إيرانية فلسطينية بغض النظر عن الجهات التي تعامل معها الإيرانيون، منظمة التحرير أو الفصائل الإسلامية أو مجموعات عسكرية صغيرة. في حقيقة الأمر أن كل دعم كان مسيساً ومشروطاً وغير مستمر(١).

في أعقاب اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية، في سبتمبر ٢٠٠٠ بعد انهيار محادثات سلام الشرق الأوسط في "كامب ديفد"، أفرج عرفات عن عناصر حماس والجهاد الإسلامي المعتقلين، وهو قرار أعاد العلاقات بين إيران والسلطة الوطنية الفلسطينية. الدعم المتجدد أصبح جلياً عندما استولت وحدة الكوماندوز الإسرائيلية على "كارين إيه" في عام ٢٠٠٢، وهي سفينة تحمل (٥٠) طناً من الأسلحة المتطورة من إيران إلى غزة، وفقاً "لمحمود عباس" رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية "حماس يتم تمويلها من إيران"، وهي تدعي أنها تمول من التبرعات، ولكن التبرعات لا تساوي شيئاً مقارنة بما تتلقاه من إيران. كما تزود إيران حماس بالعتاد العسكري، وتشمل التقنيات الموفرة صواريخ (فجر ٥، إم ٧٥، وإم ٣٠٢)، إضافة إلى طائرات بدون طيار.

تقول إيران بأنها تقدم دعماً غير محدود وغير مشروط لكل فصائل المقاومة الفلسطينية، وتطرح ذلك منذ سنوات طويلة متباهية بتشكيل محور الممانعة والمقاومة الذي كان يضم إلى جانبها وسوريا كذلك، حزب الله اللبناني وحماس والجهاد الإسلامي الفلسطينيتين، لكن تطورات كثيرة وأحداث ومنعرجات حادة في المنطقة، كشفت إلى حد كبير كيف أن دعم الفصائل المقاومة وكان حقيقياً وكبيراً في فترات متفاوتة، توقف تماماً عن حماس التي لم توقع اتفاق سلام مع إسرائيل وما زالت تنادي بالتحرير، وتقطع مع الجهاد الإسلامي التي أيدت بخلاف حماس النظام السوري الذي تحارب من أجله إيران، بسبب الثمن المطلوب(٢).

لقد أدى وصول الإخوان المسلمين ممثلين بالرئيس محمد مرسي إلى سدة الحكم في مصر في منتصف عام ٢٠١٢، إلى المزيد من ثقة "حماس" بإمكانية الابتعاد عن إيران، مما زاد من حدة

---

(١) نائل الشافعى، العلاقاتالإيرانية الفلسطينية، موسوعة المعرفة، على الرابط :

https://www.marefa.org.

(٢) خالد الأحمص، "حماس تثير الشكوك حول علاقاتها بإيران"، جريدة الأهرام(القاهرة : الأهرام، العدد ٤٧٧٦٣، ٢٠٢٠)، ص ٥.

التوتر بين الطرفين[١]. وزاد مشعل من حدة التوتر مع إيران بتقاربه مع الرياض في منتصف عام ٢٠١٥ بعد تولي الملك سلمان بن عبد العزيز الحكم في السعودية، الأمر الذي أثار غضب إيران نتيجة تخوفها على حضورها في الساحة الفلسطينية[٢].

أدى تعثر التغيير في سوريا وعدم سقوط النظام الحاكم هناك، وسقوط حكم الإخوان المسلمين في مصر، وتزايد الرفض والغضب من قبل دول عربية إزاء الإخوان، إلى تحرك حماس في أكثر من اتجاه لتعويض خسائرها في سوريا ومصر، فأعلنت في مايو ٢٠١٧ وثيقة سياسية قدمت فيها برنامجاً سياسياً مرناً، وحاولت من خلالها تخفيف علاقتها مع الإخوان المسلمين، لكن رافق هذا سعي حماس للتقارب مع إيران مره أخرى.

في يوليو ٢٠١٥، أفاد مسؤول بارز في حماس أن المنظمة لم تعد تتلقى مساعدات من إيران، ربما بسبب دعم حماس للثوار في الحرب الأهلية السورية، فضلاً عن تحسن العلاقات مع السعودية، ومع عودة قليلة إلى الوراء يتضح بشكل جلي أسباب دعم إيران للفصائل الفلسطينية إذا ما عرفنا لماذا توقف ذلك. ليس هناك أفضل من أن يتحدث زعيم حماس خالد مشعل عن الدعم الإيراني. وقال خالد مشعل، في مارس ٢٠١٦ فقط، إن الأزمة بين حماس والرئيس السوري بشار الأسد أثرت على العلاقة مع إيران، والتي ردَّت بمراجعة الدعم المالي للحركة بشكل كبير، مضيفاً: "طهران خفّضت دعمها للحركة بعد أن كانت أحد الداعمين الأساسيين لها، إنها اليوم ليست داعمًا رئيسيًا[٣].

وكان هناك اجتماععقد في ٤ يناير ٢٠١٦ بين وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف مع ممثل حماس في طهران خالد القدومي للبحث في علاقات الجانبين، حيث عرض ظريف على القدومي أن تقوم حماس بإعلان موقف سياسي رسمي ضد السعودية بعد إعلانها قطع كافة العلاقات مع طهران مقابل أن تقوم الأخيرة بتلبية مطالب حماس كافة ومنها الدعم المالي الثابت والدائم، ووجه ظريف عبر القدومي رسالة إلى رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل يشرح

---

(١) ماجدة فضة، الربيع العربى والتغيرات فى الفكر السياسى لحماس (نابلس : جامعة النجاح الوطنية، ٢٠١٤)، ص ٧٠.

(٢) أشرف الهور، "مشعل فى السعودية لبحث ملف التهدئة والتقارب مع مصر والمصالحة الداخلية"، القدس العربى، ١٦ / ٦ / ٢٠١٥، على الرابط:

https://bit.iy/2NiPvDP

(3)Rachel Brandenburg, Iran and the Palestinians. ,Archived 7 August 2017,[Date mismatch] at the Wayback Machine

فيها ظروف العلاقة مع السعودية بعد التدهور الحاصل وما يجري في المنطقة وتأثيره على القضية الفلسطينية وضرورة اصطفاف الحركة التي تؤثر في المواقف الفلسطينية الداخلية إلى جانب إيران باعتبارها الدولة الوحيدة التي تقف في وجه إسرائيل، لكن حماس رفضت(١).

ظهر تقارب حماس وإيران للعلن عقب انتخاب كل من يحيى السنوار قائداً لحماس في القطاع، وهو الأقرب للجناح العسكري المدافع عن العلاقة التقليدية مع طهران وحزب الله، وإسماعيل هنية رئيساً للمكتب السياسي لحماس في بداية أيار (مايو) ٢٠١٧، الذي عمل على إعادة بلورة السياسة الإقليمية للحركة منطلقاً من إعادة التقارب مع إيران وسوريا(٢).

وبعد عدة اجتماعات حسمت حركة حماس موقفها نهائيا بشأن العرض الإيراني وقررت رفضه عبر طريقة عدم إبداء الرأي، وقال أحد مسؤولي الحركة من الضفة الغربية بأن"**المعادلة معقدة، نحن كحركة تحرر نتطلع إلى دعم الجميع لكننا أبدا لن نكون في أي تحالف ضد الشعوب أو ضد العالم السني**"، وهذا هو الموقف الذي انطلقت منه كذلك حركة الجهاد الإسلامي التي استأنفت علاقتها مع إيران في مايو ٢٠١٦ لكن بعد شهور طويلة عجاف، وكانت إيران مع بدء عاصفة الحزم في اليمن تتطلع إلى موقف فلسطيني مناهض للحملة ضد الحوثيين، وطلبوا من الجهاد تصدير موقف بذلك مشابه لموقف حزب الله، لكن حركة الجهاد رفضت، وأكدت بشدة عدم التدخل في شؤون أي بلد عربي، وهو الموقف الذي فاجأ الإيرانيين الذين كانوا يعتقدون أنه يمكن للجهاد أن تقف إلى جانبها في كل شيء، على غرار الموقف الذي اتخذته الحركة من الأزمة السورية. وردت إيران بقطع الدعم المالي عن الجهاد التي لم تتمكن لشهور من دفع رواتب عناصرها قبل أن تعود إيران وتستأنف العلاقة بسبب أنها بحاجة دائما إلى موطئ قدم.

لم تتوقف محاولات إيران استقطاب الفلسطينيين على الفصائل الكبيرة فتح وحماس والجهاد، بل سعت حتى لتجنيد مجموعات مسلحة لها في غزة والضفة الغربية كانت ترسلم لهم الدعم مقابل تنفيذ عمليات على ما كشف أحد المسؤولين العسكريين لأحد الأجنحة في غزة ورفض ذكر اسمه، وحاولت إيران تشكيل فصائل بأسماء تدل على الأصول الشيعية، مثل جماعات "عماد مغنية وحزب الله الفلسطيني"، وغيرها.

---

(١) خالد الأحمص، مرجع سابق، ص ٥.

(٢) موقع الحدث، "قلق من عودة دفء العلاقات بين حماس وإيران"، الحدث، على الرابط:
https://bit.ly/2ONNW65.

وقبل سنوات طويلة أقر سالم ثابت وهو أحد أبرز المسؤولين الميدانيين الذين عملوا ضد إسرائيل في غزة أنه يتلقى دعما لحزب الله وحين سئل آنذاك عن طبيعة هذه العلاقة، قال خلافا لغيره من المقربين لحزب الله: "**إنها علاقة تنظيمية**". وقال مصدر بأن مثل هذا الدعم متواصل لبعض الفصائل الصغيرة في غزة حتى الآن، أما أبرز المحاولات الإيرانية في غزة خلال سنوات ماضية، فهو تشكيل حركة متشيعة هي حركة الصابرين التي أصبحت ممثلا شبه رسمي لطهران.

وظهرت "الصابرين" التي تدعمها وتوجهها إيران في قطاع غزة منذ نحو (٣) أعوام، ويتهمها مسلمون سنيون في غزة بأنها تتبنى النهج الشيعي. وظهر الدعم الإيراني واضحا على الحركة الجديدة من خلال قدرتها على دفع رواتب موظفيها. لكن حماس مع سوء العلاقة أكثر مع طهران وغضب سني كبير اضطرت إلى إغلاق الجمعية التي أسسها القيادي المعروف في غزة هشام سالم الذي يوصف بأنه رجل إيران الأول في القطاع وكان أسس جناحا عسكريا ما زال موجودا وحاول تأسيس مثل هذا الجناح في الضفة الغربية وفشل، وفي حديث أدلى به "يحيى السنوار"، رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، في ٤ نوفمبر ٢٠١٩، أشار إلى أن لإيران الفضل الكبير فيما وصلت إليه المقاومة في قطاع "غزة وفلسطين" بفضل دعمها المقاومة بالمال والسلاح والخبرات، في الوقت الذي سد فيه بعض القادة العرب أبوابهم في وجهنا، على حسب قوله. ويضيف السنوار: "**سمعنا من بعض قادة العرب أنهم قالوا إذا أردتم أن نفتح لكم الأبواب فحلوا مشكلتم مع الأمريكان والغرب**"[١].

(١) أحمد فتحى، "إيران والقضية الفلسطينية.. الوعود المعسولة"،جريدة الشرق الأوسط (أبو ظبى: جريدة الشرق الأوسط، ١٠أكتوبر ٢٠١٦)، ص ٤.

خاتمة

فى ضوء ما طرحته هذه الدراسة، يمكن القول بأنه يجب التأكيد على عدد من المبادئ الأساسية التي يجب أن تكوِّن محورًا ثابتًا راسخًا في عقولنا خلال تتبع الخطوط العامة للسياسة التي نقترحها في مواجهة المشروع الإيراني في الوطن العربي، الذي يطال الشعوب بالدرجة الأولى، من هذه المبادئ؛ الحفاظ على وحدة وتماسك النسيج الداخلي للدولة والشعب في الوطن العربي، فالاستقرار الداخلي والاجتماعي ضمن الإطار الأعمّ لهوية المنطقة العربية الإسلامية شرط أساسي في نجاح تطبيق سياسة مواجهة المشروع الإيراني التفتيتي، وضرورة مواجهة الدعاية التي تقوم إيران بترويجها الآن وهي اتهامها كل من يعارض مشاريعها التدميرية بالعمالة للمشروع الأمريكي الصهيوني، بينما يؤكد الواقع حقيقةِ تكامل المشروع الإيراني مع المشروعين الأمريكي والإسرائيلي، واتفاقهما في الوسائل والأهداف، كمايجب أن نعلم أنّ إيران ستعمد إلى التظاهر بالتراجع عن –بعض مواقفها– بغية تنفيس الاحتقان ضدّها كلما اضطرت إلى ذلك، لكن هذا لا يعني أنّها تراجعت عن مشروعها، فهناك فرق كبير جدًّا بين تغيير الهدف وتغيير الأسلوب.

وقت خلصت هذه الدراسة إلى أن هناك خطوات يفضي اتباعها إلى التصدى للمشروع الإيراني، ومن أبرز هذه الخطوات:

١- التصدى للنفوذ الإيرانى بالدول العربية

استطاعت الثورة السورية وبإمكانيات بسيطة إلحاق الهزيمة بالمليشيات الإيرانية الطائفية في سورية، ولولا تخاذل العالم والتدخل الروسي في سورية لكانت إيران اليوم ترفع الراية البيضاء وتجر أذيال الهزيمة منكفئة على نفسها؛ فعلى الدول العربية والإسلامية التي تعاني من التدخل الإيراني في دول المنطقة أن تدعم الشعوب التي تواجه المشروع الإيراني في بلداننا، فلها دور مهم في مواجهة الغدر الإيراني لا يقل عن أهمية التنسيق السياسي والعسكري بين دول المنطقة.

٢- عدم تعميم الأحكام على الشيعة

الحرص على عدم جمع الشيعة في سلة واحدة يزيد من النِّديَّة للمشروع الإيراني، ففي الآونة الأخيرة ظهرت حالة تململ من المشروع الإيراني في بعض أوساط الشيعة العرب غير الموالين "للولي الفقيه"؛ وذلك لأسباب مختلفة منها الاستعلاء القومي عبر اختراق المرجعية العربية وتنصيب إيرانيين عليها يدَّعون عدم موافقتهم على مبدأ الولي الفقيه لكنهم ينفذون أجندة إيران السياسية والطائفية والمصلحية بامتياز وآية الله الإيراني السيستاني مثال صريح على ذلك؛ ومنها

تضارب المصالح، فلابد أن نأخذ بعين الاعتبار وجود حد معين من تضارب المصالح فيما يتعلَّق بالمرجعية فإيران تسعى إلى نقل الثقل الأساسي للمرجعية الشيعية من مدرسة "النجف" التاريخية إلى مدرسة "قم"، لتكرِس إيران نفسها مرجعًا أساسيا لشيعة العالم(١).

ومن الأسماء التي بدأت تظهر تململها من الاستحكام الإيراني الشيخ محمد الحاج حسن منسقُ التيار الشيعي الحر الذي سرَّب حزب الله فتاوى إهدار دمه مؤخرًا، والشيخ صبحي الطفيلي، وبرغم أنَّه لم ينضم بعد إلى التيار فأنه يبقى الأمين العام الأول لحزب الله وله مكانة خاصة في صفوف الشيعة، وهو يؤكد أنّ إيران عميلة للمشروع الأمريكي الإسرائيلي ومشاركة معه في العراق وأفغانستان وسورية، ومثلهما الشيخ حسين المؤيد، فمن أجرأ ما أدلى به تصريحه بأن إيران أخطر على العرب من إسرائيل.

٣- التركيز على العلاقة الإيرانية الإسرائيلية

يجب عرض الأهداف الإيرانية التي تريد تحقيقها في المنطقة ومقارنتها بشكل دائم بأهداف المشروع الصهيوني؛ كي يستطيع القارئ الربط بشكل آلي فوري, وسيكون هذا سهلًا جدًّا خاصَّة أنّ أهداف المشروعين واحدة تقريبًا وبما أنّ الأحداث تتمحور حاليًا حول العراق فلا بد من التركيز على تلاقي دور الصهاينة والصفويين في تدمير العراق وتدمير سورية، وقد رحبت إسرائيل بالتدخل الإيراني لمساعدة النظام بداية الثورة السورية(٢).

٤- فضح التلاعب الإيراني

إن التركيز على التناقضات الإيرانية في المواقف ونفاقها في مختلف الملفات الإقليمية وعرضها في إطار مشروعها له أهمية كبيرة في مواجهة الخداع الإيراني لشعوب المنطقة، فإيران ذات وجهين، ولا يقتصر تناقضها على توزعه بشكل متعمد وماكر بين ما يسمى إصلاحيين ومحافظين بل تعداه ليصبح تناقضًا داخل كل واحد منهما. **وهذان المثالان يوضحان ذلك:**

- اشتهر الرئيس الإيراني السابق أحمدي نجاد بتصريحاته الشهيرة عن ضرورة إزالة إسرائيل عن الخريطة وتدميرها، ثمَّ أطلق تصريحه الشهير الآخر في ٢٦ أغسطس ٢٠٠٦ بمناسبة افتتاح مصنع إنتاج الماء الثقيل في "آراك" قائلًا: **"إيران لا تشكل خطرًا على الغرب ولا حتى على**

(١) على شريعتى، التشيع العلوى والتشيع الصفوى (بيروت: دار الأمير للثقافة والعلوم، ط٢، ٢٠٠٧)،ص ٦٩ : ٧١.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٢.

إسرائيل"، فهذه التصريحات توضح السياق الإعلامي الذي تندرج تحته تصريحات إيران ضد الغرب وإسرائيل.

- وأعاد الإيرانيون تطمين الغرب من خلال تصريحات لاريجاني الخاصة بالبرنامج النووي الإيراني والتى أكد فيها أن، "**برنامج إيران النووي لا يمثل تهديدًا لإسرائيل، وبلاده مستعدة لتسوية جميع الأمور العالقة مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية خلال ثلاثة أسابيع...، وكل ما يرد بشأن رغبة إيران في تهديد إسرائيل هو كلام خاطئ**"(١).

٥- كشف أدوات إيران ووسائل اختراقها للمنطقة

ينبغي العمل على ذلك من الناحية البشرية والمادية والمذهبية والاجتماعية، وتحديد حلفاء إيران في البلدان العربية، وتحديد طرق وأساليب التعامل معهم من خلال إثارة نقاشات فكرية علمية لنقل الصورة الحقيقية عن إيران وعن سلبية التبعية لها، واستخدام الوسائل والأساليب والأدوات المناسبة في مخاطبة الجمهور من العامة والخاصة فيما يتعلق بالخطر الإيراني، فلكل فئة مستهدفة طريقة خاصة بالتفكير أو الاستجابة للخطاب الموجه إليهم؛ فمنهم من يستجيب للمحاجات العقلية والمنطقية، ومنهم من يتأثر بالمحاجات الشرعية الدينية، ومنهم يصغي للمحاجات التاريخية، ومنهم تقنعه الوقائع والأحداث والصور البصرية؛ وعليه فلا يجوز استخدام أسلوب واحد جامد خشبي في مخاطبة كل هذه الفئات وكأنها عقل واحد .

٦- توظيف الأوضاع الراهنة

توظيف الأوضاع والتطورات الراهنة والتعامل معها بشكل ذكي لكشف المشروع الإيراني ومحاصرته والضغط عليه، ومن ذلك تسليط الضوء على تلقي إيران لضربات إسرائيلية متكررة في سورية واكتفائها بالصمت المطبق، وهي التي لطالما تبجحت برفع شعار المقاومة والممانعة(٢).

٧- إنشاء مراكز مراقبة وأبحاث

إنشاء مركز أبحاث جامع هدفه دراسة ورصد السياسات التوسعية الإيرانية تجاه المنطقة، وتقديم الاقتراحات بشأن سبل معالجتها أو مواجهتها، والاهتمام برعاية باحثين وإعلاميين عرب،

(١) على حسين بكير ،مرجع سابق،ص ٢٤.

(٢) على شريعتى، مرجع سبق ذكره،ذكره، ص ٧٣.

ودفعهم إلى إتقان اللغة الفارسية لما لها من أهمية في تناول ونقل وتحليل ونقد وكشف الأخبار والوثائق الإيرانية المكتوبة بالفارسية التي يستعصي على كثيرين منَّا فهمها أو ترجمتها[١].

٨- فضح العلاقة بين التنظيمات الإرهابية وإيران

كثيرًا ما تستتر إيران وهي تنجز مشروعها الطائفي وتمارس الإرهاب بشعار محاربة الإرهاب، ولا بد هنا من الإشارة إلى العلاقة الوثيقة التي تجمع بين إيران وتنظيم القاعدة الذي يقطن عدد من قياداته في إيران؛ ففي "خطاب إلى كارم" يقدم ابن لادن المسوغات التي تستوجب عدم الهجوم على إيران قائلًا: "**إيران هي شريياننا الرئيس الذي يمدنا بالأموال والرجال وقنوات الاتصال، ولا يوجد ما يستوجب الحرب مع إيران إلا إذا اضطررت إلى ذلك**". وينهَى بن لادن بقوة عن أي هجوم ضد إيران، بل يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك، فيحض عناصر التنظيم على طلب المشورة أو الإذن في أي مواجهة مع إيران، والخطاب الذي أرسله الظواهري لأبي مصعب الزرقاوي –الذي كان يومئذٍ قائدًا للقاعدة في العراق، يطلب منه عدم التعرض للشيعة والإيرانيين، نظرًا لوجود أكثر من (١٠٠) من أعضاء القاعدة تحت قبضة النظام الإيراني، وفي خطاب لأبي محمد العدناني الناطق باسم تنظيم الدولة أكد : "**أن عدم تعرضهم لإيران**" كان بتوجيه من الشيخ الظواهري؛ ولا تخفى الخيرات التي جنتها إيران من تنظيم القاعدة وفروعه في العراق وسورية خصوصًا وفي مجمل المنطقة العربية والإسلامية عمومًا[٢].

(١)المرجع السابق، ص ٧٣.

(٢) نفس المرجع السابق ذكره، ص ٧٤.